ولكم في رسول الله ص أسوة

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
قدس سره

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى في سورة الأحزاب: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾[1].

أنعم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أسوة... وأكرم به من قدوة لنا ..

في هذه الآية الكريمة أمر رجوي إرشادي.. يأمرنا الله سبحانه بالإقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتأسي بشخصه الكريم، وسيرته العطرة الوضاءة، وسنته المباركة في كل زمان ومكان..

فمنذ أن كان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بين أبناء الأمة، وإلى يومنا هذا وحتى آخر فرد منها في الحياة، فهو صلى الله عليه وآله وسلم خير أسوة للناس.. وكل من أراد الفوز برضا الله، ودخول دار الكرامة والسلام عليه أن يقتدي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام الذين أوصى بهم، وأن يجعلهم أسوته الذين يتأسى بهم في حياته..

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة في كل الحياة.. وكل جوانبها الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والعبادية، وكل مفردة من هذه المفردات صغيرها وكبيرها.. وهذا ربما يتمثل بثلاثة اتجاهات رئيسية هي:

١ - الإيمان الراسخ الناتج عن العلم والوعي الكامل بالرسالة المباركة..

٢ - الحفاظ على الشريعة الإسلامية، عبر القيام بالواجبات والأوامر، والانتهاء عن النواهي والمحرمات، والوقوف عند الشبهات والحدود..

٣ - الأخلاق الرسالية المحمدية.. لأن رسالة بلا أخلاق هي رسالة شيطانية لا رحمانية.. والإسلام دين قيم ومبادئ ومُثُل عليا، جاءت لتنظم حياة الإنسان من جميع الجوانب، مع نفسه، ومع مجتمعه، ومع ربه قبل ذلك كله، ولم يغفل الإسلام عن أي ناحية مهما كانت ضيقة أو مستورة..

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

وقد جاء في الحديث المشهور عن الرسول الأعظم ﷺ: «إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق»[1]. نعم، وكان ﷺ خُلُقه القرآن حتى نزل فيه قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

والقرآن كتاب أخلاق وقيم، كما هو كتاب عقائد وأحكام.. وهو أيضاً كتاب اقتصاد واجتماع، بل سائر العلوم التي لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم، وهو كل متكامل: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۞ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[3]، لذا لا يمكن العمل بشيء وترك آخر، فنكون كـ ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[4]، أي مجزأ بأخذ ما يوافق هواه ويدع ما يشاء.

وهكذا يلزم أن نتعامل مع السنة النبوية الصحيحة الواصلة إلينا عن طريق أهل البيت عليهم السلام تلك السيرة الرسالية المؤكدة. فنجعلها رديفاً للقرآن وتفسيراً حياً وواقعياً له، ونحاول التأسي برسول الله ﷺ في واقعنا المعاصر، فنقف حيث وقف ونسير مثلما سار، ونتمثله حيا بيننا، وهو ﷺ حي بخليفته الخاتم ولي الله الأعظم الإمام المهدي المنتظر عليه السلام وكأننا نراه يسددنا ويرشدنا..

فندرس الحياة الاجتماعية للعصر الجاهلي، وكيف قلبها رسول الله ﷺ رأساً على عقب، وكيف بدّل منظومة القيم البالية، والعادات السيئة إلى قيم نورانية وعادات إسلامية سماوية، وتقاليد أخوية.. فصنع مجتمعاً لم ير نظيره في الحياة كلها...

وكذلك ندرس الاقتصاد الإسلامي وظروفه الأولى.. والسياسة الإسلامية وكيف كانت خطوطها العريضة وحدودها الضيقة بكل تفاصيلها..

وهكذا كل شيء نراه أو نعيشه أو نحتاجه في هذا الزمن الصعب.. علينا أن نتبصر أولاً وقبل أي شيء بالقرآن الصامت والناطق... أي بكتاب الله وسيرة رسول الله ﷺ وأهل البيت الأطهار عليهم السلام.. لنستخلص الدروس والعبر، ونعرف الأحكام وشريعة الإسلام..

ومن جملة الأمور الهامة التي يلزم علينا بحثها ودراستها بشكل تفصيلي ودقيق، الكيفية والطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ في تعامله مع أعدائه خلال الحرب والسلم، وعند العهود والمواثيق والاتفاقيات، وأساليب الترقب والحيطة والحذر من غدرهم ومكائدهم.. لأن هذا التأريخ وهذا النوع من الدراسات والبحوث شبه مهملة من تأريخ رسول الله ﷺ، وليس لها إلا أهل الاختصاص، لا سيما وتشعب أنواع الحروب والأسلحة في عصرنا الحاضر.. ولعله يتبادر إلى ذهن البعض أن لا رأي للإسلام فيها، ولم يتطرق إليها لا من قريب ولا بعيد..

وقد صارت الأمة الإسلامية غرضاً يُرمى ويُعتدى عليها متى شاء الأعداء..

التأريخ الإسلامي يقول: إن رسول الله ﷺ هو أسوة لنا في الحرب كما هو قدوة لنا في السلم.. فأين نحن

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١ ص١٨٧ ب٦ ح١٢٧٠١.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) سورة فصلت: ٤١ -٤٢.

(٤) سورة الحجر: ٩١.

من هذه الدروس المستفادة من الحروب الدفاعية التي خاضها رسول الله ﷺ التي بلغت ثمانياً ما بين غزوة وسرية..

لا سيما الغزوات الكبرى.. كمعركة بدر ، وأحد، والأحزاب (الخندق)، وفتح مكة، وما جرى في صلح الحديبية.. فهذه ذات دروس عظيمة يلزم دراستها من جديد، وصياغتها بفكر جديد، وأن نضفي عليها ثوباً عصرياً حضارياً جديداً، فأين أصحاب الاختصاص منها..

علماً أن الاستعمار وأذياله المتحركة عندنا يمنعون الأمة من دراسة تأريخ عظمائها من الرسول الأعظم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، ومن معرفة تفاصيل المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ، لأسباب وعلل واهية وحجج باهتة، من أنها حروب بدائية ومتخلفة.. وتعاليمها أكل الدهر عليها وشرب، فأين السيف من الصاروخ، والفرس من الطائرة والدبابة العملاقة، والسفن الشراعية من حاملات الطائرات والغواصات النووية .. وغير ذلك مما اخترع من أنواع الأسلحة..

إلا أن الحق هو دراسة أصول المسألة وتفرعاتها، ومعرفة الحق من الباطل، والصحيح من الخطأ.. وجند الله وجبهته من جند الشيطان وأعوانه.. وأين يكون رضا الله، وأين يكون سخطه وغضبه، وهكذا.

نعم، إن رسول الله ﷺ قائدنا ورائدنا في الحرب والسلم، فإنه خاض كل حروبه دفاعاً عن النفس، ورداً للعدوان، وحقناً للدماء ما استطاع إلى ذلك من سبيل، ودفع الحرب ما دفعت عنه بالمعاهدات والسلم.. ولم يخض حرباً ظلماً وعدواناً بل اضطراراً شديداً .. فكانت سياسته العامة سياسة السلم واللاعنف، ومنهجه بعيداً كل البعد عن الغدر والإرهاب.

فكانت حروبه كلها دفاعية، وكذلك هي حروب أمير المؤمنين عليه السلام فقد كان الشعار دائماً : «لا أبدأهم بقتال» وحتى بالبراز وطلب المبارزة، فكان يوصي بعدم فعلها لأن المبارز باغ ـ عادة ـ والباغي مخذول.. ولكن إذا دعيت إلى البراز فعليك أن تجيب...

وفي هذا الكتاب يذكرنا الإمام الراحل السيد الشيرازي(أعلى الله مقامه)، بوجوب الإقتداء برسول الله ﷺ في الحرب وأسلوبها، والحذر من العدو الذي له إشكال متعددة.. ويعرض ذلك عرضاً جميلاً مدعماً بحثه بالقصص التأريخية والواقعية المعاصرة..

ونحن في مؤسسة المجتبى إذ نقوم بنشر هذا الكتاب، نرجو من الله أن يوفقنا لنشر المزيد من تراث الإمام الشيرازي الراحل (أعلى الله درجاته)، فإنها ثروة قيمة في إغناء المكتبة الإسلامية وتوعية أفراد الأمة.

ونسأل الله أن يسدد الجميع إلى ما فيه الإقتداء برسول الله ﷺ وبأهل بيته الطيبين الأكرمين عليهم السلام..

إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الرسول ﷺ ونزاهة الحرب

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

بعث الله عزوجل النبي محمداً ﷺ رحمة للعالمين، فجاء بشيراً ونذيراً إلى الناس أجمعين فاهتدى العديد منهم ببركته ﷺ ولكن البعض أخذ يحارب النبي ﷺ والمسلمين، فأخذ المشركون يخططون لقتل النبي ﷺ وقتل أصحابه، وفرضوا على رسول الله ﷺ عشرات الغزوات، وكلها كانت دفاعية من قبل الرسول الأعظم ﷺ، وكانت سياسته في الحرب مبتنية على الأخلاق الطيبة، والعفو عن المجرمين، ومداراة الأسرى، والسعي في هدايتهم إلى الصراط المستقيم بعيداً عن الغدر والخيانة، والعنف والإرهاب.

فكان رسول الله ﷺ خير أسوة للبشرية حتى في ميادين الحرب، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3]، فإن حذف المتعلق يفيد العموم، على ما ذكره العلماء في البلاغة والأصول.

قريش والحرب والانتقام

كانت بذور الانتقام والحقد والثأر من المسلمين، قد بُذرت في مكة من زمن بداية الدعوة الإسلامية، ثم أجج ذلك انهزام المشركين في معركة بدر[4] وسرية محمّد بن مسلمة، واعتمد طواغيت قريش خطة التهييج العاطفي أيضاً

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٠.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

(٣) سورة الأحزاب: ٢١.

(٤) معركة بدر الكبرى: وقعت هذه المعركة بين المسلمين وكفار قريش عند آبار بدر في يوم (١٧ أو ١٩) من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة؛ وذلك أن النبي ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب في أربعين راكباً من قريش تجاراً قافلين من الشام، فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب ونيف، وأصحابه أكثرهم مشاة معهم ثمانون بعيراً وفرس، فبلغ أبا سفيان الخبر فأخذ العير على الساحل وأرسل إلى أهل مكة يستصرخ بهم، فخرج منهم ألف رجل معهم مائتا فرس ومعهم القيان يضربن الدفوف فلما بلغ النبي ﷺ إلى بدر، وهي بئر، وقد علم بفوات العير ومجيء قريش، شاور أصحابه في لقائهم أو الرجوع. فقالوا: الأمر إليك، وكان لواء رسول الله ﷺ أبيض مع مصعب بن عمير، ورايته مع علي عليه السلام وأمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة وكثر الله المسلمين في أعين الكفار وقلل المشركين في أعين المؤمنين كيلا يفشلوا، فأخذ ﷺ كفاً من تراب فرماه عليهم، وقال:

وذلك بمنع ذوي القتلى من البكاء والنياحة على قتلى معركة بدر؛ وهذا مما ساعد على إذكاء روح الانتقام لدى قريش.

كما أن تعذر مرور قوافلها التجارية عبر طريق مكة ـ المدينة ـ الشام، واضطرارها إلى سلوك طرق أخرى كطريق العراق للسفر إلى الشام، أو طريق الساحل، زاد هو الآخر من سخطها وانزعاجها.

كما أجج مقتل (كعب بن الأشرف) أوار هذا الحقد وأوقد لهيبه في النفوس[1].

ومن هنا اقترح (صفوان بن أمية) [2]..

و(عكرمة بن أبي جهل) [3]..

على (أبي سفيان)[4] بالحرب ضد الرسول ﷺ والمسلمين والاستعداد لها.

«شاهت الوجوه». فلم يبق منهم أحد إلا اشتغل بفرك عينيه وقتل الله من المشركين سبعين رجلاً وأسر سبعون، منهم: العباس وعقيل ونوفل بن الحارث وكانوا مسلمين لم يظهروا إسلامهم، وكانوا مكرهين في خروجهم إلى الحرب... وقال رسول الله ﷺ للعباس: «افد نفسك وابني أخويك عقيلاً ونوفلاً». فقال: إن القوم استكرهوني، وأني كنت مسلماً. فقال ﷺ: «الله أعلم بإسلامك إن يكن حقاً فإن الله يجزيك به، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا»... وعامة من قتل من الكفار قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً. وهي أول معركة انتصر فيها المسلمون على المشركين، وقد أبلى المسلمون بلاءً حسناً، وكان لأمير المؤمنين عليه السلام النصيب الأعظم من هذه المعركة فقد قتل من أبطال قريش وصناديدها نصف من قتل في المعركة. انظر قصص الأنبياء: ص٣٤٠ ب٢٠ ف١٠ ح٤١٧.

(١) كعب بن الأشرف، من سادة يهود المدينة، من بني النضير، كان بينه وبين المسلمين عهد فنقضه، فأرسل رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة الأنصاري وغيره فقتله، وكان ذلك في السنة الثالثة من الهجرة، وهو الذي تعاهد مع قريش في الكعبة على قتل النبي ﷺ، وبكى كعب بن الأشرف على من قتل من المشركين في بدر وهجا النبي ﷺ وأصحابه.

جاء في بحار الأنوار: ج٢٠ ص١٠ ب١١ ح٧: قتل كعب بن الأشرف من طيء وكانت أمه من بني النضير، وكان قد كبر عليه قتل من قتل ببدر من قريش فسار إلى مكة، وحرّض على رسول الله ﷺ وبكى على قتلى بدر، وكان يشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم فلما عاد إلى المدينة، قال رسول الله ﷺ: «من لي بابن الأشرف؛ فإنه قد آذى الله ورسوله؟». فقتله محمد بن مسلمة ـ في قصة مفصلة ـ.

(٢) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، قتل أبوه كافراً يوم بدر، كان إليه أمر الأزلام في الجاهلية، مات سنة (٤١ أو ٤٢ هـ) أخرج أموالاً لقتال رسول الله ﷺ في معركة بدر، وكان من المؤلفة قلوبهم.

(٣) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد أسد، كان كأبيه من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ، أسلم عام الفتح، وخرج إلى المدينة، قيل: قتل في أجنادين، وقيل: قتل يوم اليرموك.

(٤) أبو سفيان، صخر بن حرب بن أمية، ولد قبل عام الفيل بعشر سنين، كان أكثر الناس عداوة للإسلام ولرسول الله ﷺ وكان تاجراً، قاد قريشاً والقبائل المتحالفة معها في معركة أحد، وكان رئيس الأحزاب يوم الخندق، أظهر الإسلام بعد فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم، وهو الذي قال يوم البيعة لعثمان: تلقفوها يا بني أمية، فو الذي يحلف به أبو سفيان لا جنة ولا نار، وكان يذهب إلى قبور شهداء أحد ويضرب قبر حمزة عم النبي ﷺ ويقول: يا أبا عمارة، إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يلعبون به.

فقد قيل: لما أصيبت قريش يوم بدر، ورجع فلهم ـ أي منهزموهم ـ إلى مكة، مشى صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، في رجال من قريش، أصيب آباؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة. فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال الذي أفلت على حربه، لعلنا أن ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا، ففعلوا.

نعم، لقي هذا الاقتراح قبولاً من أبي سفيان، وتقرر الإعداد للحرب، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حتى فعل أبو سفيان ذلك.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الموضوع، كما ذكر كيف أن قريشاً لم تحصد من هذا الإنفاق إلا الخيبة والخسران، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[1].

وحيث إن زعماء قريش كانوا على علم بقوة المسلمين، وقد رأوا ولمسوا عن كثب شجاعتهم، واستقامتهم وثباتهم في معركة بدر؛ قرروا أن يتألف جيشهم هذه المرة من صناديد أكثر القبائل، وشجعانها البارزين وأبطالها المعروفين. كما أنهم أشركوا في هذا المعركة طائفة من العبيد والرقيق، أغروهم ووعدوهم في العتق إن نصروا أسيادهم وقاتلوا بين أيديهم، كما حصل مع (وحشي)، وكان يقذف بحربة له قذف الحبشة وقلّما يخطئ بها. فقد قيل له: اخرج مع الناس، فإن نلت محمداً أو علياً أو حمزة فأنت عتيق[2].

استقبل المشركون كلام أبي سفيان وأصحابه بقبول كامل وتصميم عالٍ، فقالوا: نحن لا نرجع حتى نحقق أحد الأمور الثلاثة، وهي:

---

(١) سورة الأنفال: ٣٦، وراجع مجمع البيان: ج٤ ص٤٦٤ سورة الأنفال، وتفسير تقريب القرآن إلى الأذهان: ج٩ ص١٤٤ سورة الأنفال.

(٢) وحشي بن حرب الحبشي مولى بني نوفل، قاتل حمزة عم النبي ﷺ في معركة أحد، قدم على رسول الله ﷺ مع وفد أهل الطائف وأسلم، ثم عفا عنه رسول الله ﷺ ولكن أمره أن يغيب وجهه عنه، شارك عبد الله بن زيد الأنصاري في قتل مسيلمة الكذاب، سكن الشام ومات فيها.

وانظر إعلام الورى بأعلام الهدى: ص٨٣ الركن الأول الباب الرابع، في ذكر مغازي رسول الله ﷺ بنفسه وسراياه.. وفيه: وكان وحشي يقول: قال لي جبير بن مطعم ـ وكنت عبداً له ـ: إن علياً قتل عمي يوم بدر ـ يعني: طعيمة ـ فإن قتلت محمداً فأنت حر، وإن قتلت عم محمد فأنت حر، وإن قتلت ابن عم محمد فأنت حر، فخرجت بحربة لي مع قريش إلى أحد أريد العتق لا أريد غيره، ولا أطمع في محمد ﷺ، وقلت: لعليّ أصيب من علي أو حمزة غرة فأزرقه، وكنت لا أخطئ في رمى الحراب تعلمته من الحبشة في أرضها، وكان حمزة يحمل حملاته ثم يرجع إلى موقفه. قال أبو عبد الله عليه السلام: «وزرقه وحشي فوق الثدي فسقط وشدوا عليه فقتلوه، فأخذ وحشي الكبد فشد بها إلى هند بنت عتبة فأخذتها وطرحتها في فيها فصارت مثل الداغصة، فلفظتها». قال: وكان الحليس بن علقمة نظر إلى أبي سفيان، وهو على فرس وبيده رمح يجاء به في شدق حمزة، فقال: يا معشر بني كنانة، انظروا إلى من يزعم أنه سيد قريش، ما يصنع بابن عمه الذي صار لحماً، وأبو سفيان يقول: ذق عقق، فقال أبو سفيان: صدقت إنما كانت مني زلة اكتمها عليَّ...

أولاً: قتل رسول الله ﷺ، وبقتله ﷺ ينتهي الدين الذي جاء به ـ على حد زعمهم ـ.

ثانياً: قتل علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي يمثل بطولة الإسلام والمؤثر الكبير في نتائج الحروب، وهو الشخصية الثانية بعد رسول الله ﷺ.

ثالثاً: دخول المدينة غيلة، وعلى حين غرة وغفلة من المسلمين، فيوقعوا القتل والسبي والنهب بأهلها.

عندها نزل الوحي على النبي الأعظم ﷺ، وأخبره بما يضمر المشركون، وكان نزوله بشارة للمسلمين وبعثاً للاطمئنان في قلوبهم، وخصوصاً مع ما كان عليه رسول الله ﷺ من الاستعداد والتأهب لمواجهة أخطار العدو.

استعداد المسلمين

كان رسول الله ﷺ في قمة الحذر من الأعداء رعاية وحفظاً لأنفس المسلمين، فكان ينشر العيون على الحدود وأطراف المدينة، ليترصدوا أيّ خطر أو غارة يمكن أن يداهمهم بها الكفار والمنافقون، وكانت هذه العيون على شكل دوريات ـ حسب اصطلاح اليوم ـ وهي تتكون عادة من شخصين أو ثلاثة أو خمسة، وأحياناً تتكون الدورية من عشرة أشخاص، ليكون النبي الأعظم ﷺ على إطلاع كامل بتحركات العدو من خلال هذه الدوريات إضافة إلى التسديد الإلهي، فيكون ﷺ قد أعدّ العدة الكافية للمواجهة من الناحية المادية والظاهرية.

أما من الناحية المعنوية، فبالإضافة إلى الإخلاص والإيمان بالله سبحانه، الذي كان الوازع والدافع الرئيسي للمسلمين على الثبات والمقاومة، عزّزه الله سبحانه بنزول جبرئيل عليه السلام بالبشارة، وتشديد العزم وتقوية الإرادة.

وهكذا كان الرسول الأعظم ﷺ يمتلك معرفة كبيرة بأوضاع العدو في جميع حروبه، حينما كان يرسل الدوريات وفرق الاستطلاع؛ ليعرف تحركات العدو، ومقدار القوة التي يمتلكها، ومواطن الضعف فيه، بالإضافة إلى إطلاعه الكامل على مجريات الأمور في الداخل.

معركة أحد

قال المفسر الكبير العلامة القمي في تفسيره: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾[1] يعني: بعهد من الله وعقد من رسول الله ﷺ.

وفي تفسير فرات الكوفي: عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «حبل من الله: كتابه، وحبل من الناس: علي بن أبي طالب عليه السلام»[2].

ثم ضرب للكفار من أنفق ماله في غير طاعة الله مثلاً، فقال: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ أي: برد، ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ أي: زرعهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلكِنْ﴾

---

(١) سورة آل عمران: ١١٢.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص٩٢ ومن سورة آل عمران ح٩٢.

كانوا ﴿أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

وقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

فقد روي عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سبب نزول هذه الآية أن قريشاً خرجت من مكة تريد حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخرج يبغي موضعاً للقتال». وقوله: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾[3] نزلت في عبد الله بن أُبيّ، وقوم من أصحابه اتبعوا رأيه في ترك الخروج، والقعود عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: وكان سبب غزوة أحد[4] أن قريشا لما رجعت من بدر إلى مكة، وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر؛ لأنه قتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون، فلما رجعوا إلى مكة، قال أبو سفيان: يا معشر قريش، لا تدعوا النساء تبكي على قتلاكم؛ فإن البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقة والعداوة لمحمد، ويشمت بنا محمد وأصحابه.

فلما غزوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، أذنوا لنسائهم بعد ذلك في البكاء والنوح، فلما أرادوا أن يغزوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أحد، ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها، فجمعوا الجموع والسلاح، وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل، وأخرجوا معهم النساء يذكرنهم ويحثنهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخرج أبو سفيان هند بنت عتبة، وخرجت معهم عمرة بنت علقمة الحارثية.

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك جمع أصحابه، وأخبرهم: إن الله قد أخبره، أن قريشاً قد تجمعت تريد المدينة، وحث أصحابه على الجهاد والخروج، فقال عبد الله بن أبيّ [سلول] وقومه: يا رسول الله، لا تخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقتها، فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلى السطوح، فما أرادنا قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا، وما خرجنا إلى أعدائنا قط إلا كان الظفر لهم.

فقام سعد بن معاذ رحمه الله وغيره من الأوس، فقالوا: يا رسول الله، ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام، فكيف يمطعون فينا وأنت فينا! لا، حتى نخرج إليهم فنقاتلهم فمن قتل منا كان شهيداً، ومن نجا منا كان قد جاهد في سبيل الله.

فقبل رسول الله قوله، وخرج مع نفر من أصحابه يبتغون موضع القتال، كما قال الله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه. فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معسكره مما يلي من طريق العراق، وقعد عبد الله بن أبي وقومه من الخزرج اتبعوا رأيه، ووافت

---

(١) سورة آل عمران: ١١٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٢١.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٢.

(٤) أُحد: اسم جبل يقع إلى الشمال الشرقي من المدينة المنورة، بينه وبين المدينة القديمة قرابة ميل، والآن يقع ضمن المدينة المنورة، وقعت قربه المعركة التي عرفت باسمه بين جيش المشركين ومن تحالف معهم من القبائل العربية بقيادة أبي سفيان، وبين المسلمين يقودهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قريش إلى أحد.

وكان رسول الله ﷺ عدّ أصحابه وكانوا سبعمائة رجلاً، فوضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب، وأشفق أن يأتي كمينهم في ذلك المكان، فقال رسول الله ﷺ لعبد الله بن جبير وأصحابه: «إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تخرجوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم».

ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً، وقال لهم: إذا رأيتمونا قد اختلطنا بهم فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا من ورائهم.

مقام أمير المؤمنين عليه السلام في أحد

فلما أقبلت الخيل واصطفوا، وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه، ودفع الراية إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فحملت الأنصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة، ووقع أصحاب رسول الله في سوادهم[1]، وانحط خالد بن الوليد في مائتي فارس، فلقي عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهام فرجعوا، ونظر أصحاب عبد الله بن جبير إلى أصحاب رسول الله ينهبون سواد القوم، قالوا لعبد الله بن جبير: تقيمنا هاهنا وقد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة؟ فقال لهم عبد الله: اتقوا الله، فإن رسول الله ﷺ قد تقدم إلينا أن لا نبرح، فلم يقبلوا منه، وأقبل ينسل رجل فرجل حتى أخلوا من مركزهم، وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلاً. وقد كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العدوي من بني عبد الدار، فبرز ونادى: يا محمد، تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليَّ، فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

«يا طلح إن كنت كما تقول لنا خيول ولكم نصول
فاثبت لننظر أينا المقتول وأينا أولى بما تقول
فقد أتاك الأسد الصؤول بصارم ليس به فلول
بنصرة القاهر والرسول»

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟.

قال: «أنا علي بن أبي طالب».

قال: قد علمت يا قضيم، أنه لا يجسر عليَّ أحد غيرك، فشد عليه طلحة فضربه فاتقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالجحفة، ثم ضربه أمير المؤمنين عليه السلام على فخذيه فقطعهما جميعاً فسقط على ظهره، وسقطت الراية. فذهب علي عليه السلام ليجهز عليه فحلفه بالرحم، فانصرف عنه فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟.

---

(١) السواد: الشخص، وقيل: شخص كل شيء من متاع وغيره، والجمع أسودة، وأساود جمع الجمع، ويقال: رأيت سواد القوم أي: معظمهم، وسواد العسكر: ما يشتمل عليه من المضارب والآلات والدوابِّ وغيرها. لسان العرب: ج٣ ص٢٢٤ مادة «سود».

قال: «قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً». وأخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام وسقطت الراية على الأرض، فأخذها شافع [مسافع] بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها عثمان بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها الحارث بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام، فسقطت الراية إلى الأرض، وأخذها أبو عذير بن عثمان فقتله علي عليه السلام، وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها عبد الله بن أبي جميلة بن زهير فقتله علي عليه السلام، وسقطت الراية إلى الأرض، فقتل أمير المؤمنين عليه السلام التاسع من بني عبد الدار، وهو أرطاة بن شرحبيل مبارزة وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها مولاهم صواب فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها، وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها بشماله فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على شماله فقطعها، وسقطت الراية إلى الأرض، فاحتضنها بيديه المقطوعتين، ثم قال: يا بني عبد الدار، هل أعذرت فيما بيني وبينكم، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله، وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية فقبضتها.

وانحط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير، وقد فر أصحابه وبقي في نفر قليل، فقتلوهم على باب شعب، واستعقبوا المسلمين فوضعوا فيهم السيف، ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت فلاذوا بها، وأقبل خالد بن الوليد يقتل المسلمين، فانهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هزيمة قبيحة. وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهزيمة كشف البيضة عن رأسه، وقال: «إني أنا رسول الله، إلى أين تفرون عن الله وعن رسوله؟».

وسُئل أبو عبد الله عليه السلام عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لما بارزه علي عليه السلام: يا قضيم؟.

قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب، واغروا به الصبيان، وكانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرمونه بالحجارة والتراب، فشكا ذلك إلى علي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إذا خرجت فأخرجني معك، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أمير المؤمنين عليه السلام، فتعرض الصبيان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم، فكانوا يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضمنا علي، قضمنا علي، فسمي لذلك القضيم».

وروي عن أبي واثلة شقيق بن سلمة قال: كنت أماشي فلاناً، إذ سمعت منه همهمة، فقلت له: مه، ما ذا يا فلان؟.

قال: ويحك، أما ترى الهزبر القضم بن القضم، والضارب بالبهم، الشديد على من طغى وبغى، بالسيفين والراية، فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب، فقلت له: يا هذا، هو علي بن أبي طالب؟! فقال: ادن مني أحدثك عن شجاعته وبطولته، بايعنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد على أن لا نفر، ومن فر منا فهو ضال، ومن قتل منا فهو شهيد والنبي صلى الله عليه وآله وسلم زعيمه، إذ حمل علينا مائة صنديد، تحت كل صنديد مائة رجل أو يزيدون، فأزعجونا عن طحونتنا، فرأيت علياً كالليث يتقي الذر [الدر] وإذ قد حمل كفاً من حصى فرمى به في وجوهنا، ثم قال: «شاهت الوجوه، وقطت وبطت ولطت، إلى أين تفرون، إلى النار» فلم نرجع، ثم كر علينا الثانية وبيده صفيحة يقطر منها الموت،

فقال: «بايعتم ثم نكثتم، فو الله لأنتم أولى بالقتل ممن قتل»، فنظرت إلى عينيه كأنهما سليطان يتوقدان ناراً، أو كالقدحين المملوين دماً، فما ظننت إلا ويأتي علينا كلنا، فبادرت أنا إليه من بين أصحابي، فقلت: يا أبا الحسن، الله الله، فإن العرب تكر وتفر، وإن الكرة تنفي الفرة، فكأنه عليه السلام استحيا فولى بوجهه عني، فما زلت أسكن روعة فؤادي، فو الله ما خرج ذلك الرعب من قلبي حتى الساعة. ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أبو دجانة الأنصاري، وسماك بن خرشة، وأمير المؤمنين عليه السلام. فكلما حملت طائفة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استقبلهم أمير المؤمنين عليه السلام فيدفعهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقتلهم حتى انقطع سيفه.

وبقيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسيبة بنت كعب المازنية، وكانت تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزواته تداوي الجرحى، وكان ابنها معها فأراد أن ينهزم ويتراجع، فحملت عليه فقالت: يا بني، إلى أين تفر عن الله وعن رسوله؟. فردته فحمل عليه رجل فقتله، فأخذت سيف ابنها فحملت على الرجل فضربته على فخذه فقتلته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بارك الله عليكِ يا نسيبة». وكانت تقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصدرها وثدييها ويديها حتى أصابتها جراحات كثيرة.

وحمل ابن قميتة [قمية] على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أروني محمداً لا نجوت إن نجا محمد. فضربه على حبل عاتقه، ونادى: قتلت محمداً واللات والعزى. ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى رجل من المهاجرين قد ألقى ترسه خلف ظهره وهو في الهزيمة، فناداه: «يا صاحب الترس، ألق ترسك ومر إلى النار» فرمى بترسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا نسيبة، خذي الترس» فأخذت الترس وكانت تقاتل المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان وفلان».

فلما انقطع سيف أمير المؤمنين عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا رسول الله، إن الرجل يقاتل بالسلاح وقد انقطع سيفي». فدفع إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيفه ذا الفقار، فقال: «قاتل بهذا»، ولم يكن يحمل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد إلا يستقبله أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا رأوه رجعوا، فانحاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ناحية أحد، فوقف وكان القتال من وجه واحد وقد انهزم أصحابه، فلم يزل أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة فتحاموه، وسمعوا منادياً ينادي من السماء: «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي».

فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «هذه والله المواساة يا محمد»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لأني منه وهو مني»، وقال جبرئيل: «وأنا منكما».

مقتل حمزة عليه السلام

وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر، فكلما انهزم رجل من قريش رفعت إليه ميلاً ومكحلة، وقالت: إنما أنت امرأة فاكتحل بهذا. وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم، فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له واحد، وكانت هند بنت عتبة قد أعطت وحشيا عهداً: لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزة لأعطيتك رضاك، وكان وحشي

عبداً لجبير بن مطعم حبشياً، فقال وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه، وأما علي فرأيته رجلاً حذراً كثير الالتفات فلم أطمع فيه. قال: فكمنت لحمزة فرأيته يهد الناس هداً، فمر بي فوطئ على جرف نهر فسقط، فأخذت حربتي فهززتها، ورميته فوقعت في خاصرته وخرجت من مثانته مغمسة بالدم فسقط. فأتيته فشققت بطنه وأخذت كبده، وأتيت بها إلى هند فقلت لها: هذه كبد حمزة، فأخذتها في فيها فلاكتها، فجعلها الله في فيها مثل الداغصة[1]، فلفظتها ورمت بها، فبعث الله ملكاً فحملها وردها إلى موضعها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يأبى الله أن يدخل شيئاً من بدن حمزة النار، فجاءت إليه هند فقطعت أذنيه، وجعلتهما خرصين وشدتهما في عنقها، وقطعت يديه ورجليه».

وتراجعت الناس فصارت قريش على الجبل، فقال أبو سفيان وهو على الجبل: أعلُ هُبَل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام قل له: «الله أعلى وأجل». فقال: يا علي، إنه قد أنعم علينا، فقال علي عليه السلام: «بل الله أنعم علينا». ثم قال أبو سفيان: يا علي، أسألك باللات والعزى، هل قُتل محمد؟.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «لعنك الله ولعن الله اللات والعزى معك، والله ما قُتل محمد صلى الله عليه وآله وهو يسمع كلامك». فقال: أنت أصدق، لعن الله ابن قميئة، زعم أنه قَتل محمداً.

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[2]، «فإن المؤمنين لما أخبرهم الله بالذي فعل بشهدائهم يوم بدر ومنازلهم من الجنة، رغبوا في ذلك فقالوا: اللهم أرنا القتال نستشهد فيه، فأراهم الله إياه في يوم أحد، فلم يثبتوا إلا من شاء الله منهم، فذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾».

وأما قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[3]، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرج يوم أحد وعهد العاهد به على تلك الحال، فجعل الرجل يقول لمن لقيه: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قُتل، النجاء. فلما رجعوا إلى المدينة أنزل الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إلى قوله ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ يقول: إلى الكفر.

قال: وتراجع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله المجروحون وغيرهم، فأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأحب الله أن يعرف رسوله من الصادق منهم ومن الكاذب، فأنزل الله عليهم النعاس في تلك الحالة حتى كانوا يسقطون إلى الأرض، وكان المنافقون الذين يكذبون لا يستقرون قد طارت عقولهم، وهم يتكلمون بكلام لا يفهم عنهم. فأنزل الله ﴿نُعاساً يَغْشى طائِفَةً مِنْكُمْ﴾ يعني: المؤمنين، ﴿وطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ

---

(١) الداغِصةُ: عَظْمٌ مُدَوَّرٌ يَدِيصُ ويَمُوج فوق رَضْفِ الرُّكبة، وقيل: يتحرّك على رأْس الركبة. والداغِصةُ: الشَّحْمةُ التي تحت الجلدة الكائنة فوق الركبة. والداغِصةُ: العَصَبَةُ، وقيل: هو عَظْمٌ في طرَفِه عصَبتان على رأْس الوابِلَةِ. لسانالعرب: ج٧ ص٣٦ مادة «دغص».

(٢) سورة آل عمران: ١٤٣.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٤.

الْجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال الله لمحمد ﷺ ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا﴾ يقولون: لو كنا في بيوتنا ما أصابنا القتل، قال له: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ واللهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾[1] فأخبر الله رسوله ما في قلوب القوم، ومن كان منهم مؤمناً، ومن كان منهم منافقاً كاذباً بالنعاس، فأنزل الله عليه ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[2] يعني: المنافق الكاذب من المؤمن الصادق بالنعاس الذي ميز بينهم. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ﴾ أي: خدعهم حتى طلبوا الغنيمة ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ قال: بذنوبهم ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ﴾[3]، ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه الذين قعدوا عن الحرب، ﴿وَقَالُوا لإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ واللهُ يُحْيِي ويُمِيتُ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[4]، ثم قال لنبيه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي: انهزموا ولم يقيموا معك، ثم قال تأديباً لرسوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ واسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۞ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[5].

فلما سكن القتال قال رسول الله ﷺ: «من له علم بسعد بن الربيع؟».

فقال رجل: أنا أطلبه، فأشار رسول الله ﷺ إلى موضع فقال: «اطلبه هناك، فإني قد رأيته في ذلك الموضع قد شرعت حوله اثنا عشر رمحاً».

قال: فأتيت ذلك الموضع، فإذا هو صريع بين القتلى، فقلت: يا سعد، فلم يجبني ثم قلت: يا سعد، فلم يجبني، فقلت: يا سعد إن رسول الله ﷺ قد سأل عنك، فرفع رأسه، فانتعش كما ينتعش الفرخ، ثم قال: إن رسول الله ﷺ لحي؟. قلت: إي والله، إنه لحي، وقد أخبرني أنه رأى حولك اثني عشر رمحاً. فقال: الحمد لله صدق رسول الله ﷺ لقد طعنت اثنتي عشرة طعنة كلها قد جأفتني[6]، أبلغ قومي الأنصار السلام وقل لهم:

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٥.

(٤) سورة آل عمران: ١٥٦.

(٥) سورة آل عمران: ١٥٩ - ١٦٠.

(٦) جأف: جَأَفه جَأْفاً واجتَأَفه: صَرَعَه؛ قال:

نَحْلٌ جَأَفْتَ أُصولَه أَو أَثْأَبُ وَلَوْا تَكُبُّهُمُ الرِّماحُ كأنهم

و أنشد ثعلب:

والله، ما لكم عند الله عذر أن تشوك رسول الله شوكة وفيكم عين تطرف، ثم تنفس، فخرج منه مثل دم الجزور، وقد كان اختفى في جوفه، وقضى نحبه رحمه الله.

ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته، فقال: «رحم الله سعداً، نصرنا حياً وأوصى بنا ميتاً».

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من له علم بعمي حمزة؟».

فقال الحرث بن سمية: أنا أعرف موضعه. فجاء حتى وقف على حمزة، فكره أن يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي، اطلب عمك». فجاء علي عليه السلام فوقف على حمزة، فكره أن يرجع إليه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى وقف عليه، فلما رأى ما فُعل به بكى، ثم قال: «والله ما وقفت موقفاً قط أغيظ عليَّ من هذا المكان، لئن أمكنني الله من قريش لأمثلن بسبعين رجلاً منهم». فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: ﴿وإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[1]، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بل أصبر».

فألقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حمزة بردة كانت عليه، فكانت إذا مدها على رأسه بدت رجلاه، وإذا مدها على رجليه بدا رأسه، فمدها على رأسه وألقى على رجليه الحشيش. وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقتلى فجمعوا، فصلى عليهم ودفنهم في مضاجعهم، وكبر على حمزة سبعين تكبيرة.

قال: وصاح إبليس لعنه الله بالمدينة: قُتل محمد، فلم يبق أحد من نساء المهاجرين والأنصار إلا خرجن، وخرجت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعدو على قدميها، حتى وافت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقعدت بين يديه، فكان إذا بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكت لبكائه، وإذا انتحب انتحبت.

ونادى أبو سفيان: موعدنا وموعدكم في عام قابل، فتقبل؟.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم: «قل: نعم».

قال: وتآمرت قريش على أن يرجعوا على المدينة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من رجل يأتينا بخبر القوم؟». فلم يجبه أحد، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا آتيك بخبرهم»، قال: «اذهب، فإن كانوا ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فهم يريدون المدينة، والله، لئن أرادوا المدينة لا يأذن الله فيهم، وإن كانوا ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فإنهم يريدون مكة».

فمضى أمير المؤمنين عليه السلام على ما به من الألم والجراحات حتى كان قريباً من القوم، فرآهم قد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل، فرجع أمير المؤمنين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أرادوا مكة».

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: «يا محمد، إن الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم، ولا يخرج معك إلا من به جراحة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منادياً ينادي: يا معشر المهاجرين والأنصار، من

يَكادُ مَنْ يُتْلَى عليه يَجْتَئِفْ واسْتَمَعُوا قَوْلا به يُكْوَى النَّطِفْ

لسان العرب: ج٩ ص٢٠ مادة «جأف».

(١) سورة النحل: ١٢٦.

كانت به جراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم. فأقبلوا يضمدون جراحاتهم ويداوونها، فأنزل الله على نبيه: ﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾[1].

وقال عزوجل: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾[2]، فخرجوا على ما بهم من الألم والجراح، فلما بلغ رسول الله ﷺ بحمراء الأسد، وقريش قد نزلت الروحاء، قال عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وعمرو بن عاص وخالد بن الوليد: نرجع فنغير على المدينة؛ فقد قتلنا سراتهم وكبشهم، يعني: حمزة. فوافاهم رجل خرج من المدينة فسألوه الخبر؟.

فقال: تركت محمداً وأصحابه بحمراء الأسد يطلبونكم جد الطلب.

فقال أبو سفيان: هذا النكد والبغي، قد ظفرنا بالقوم وبغينا، والله ما أفلح قوم قط بغوا، فوافاهم نعيم بن مسعود الأشجعي، فقال أبو سفيان: أين تريد؟. قال: المدينة لأمتار لأهلي طعاماً. قال: هل لك أن تمر بحمراء الأسد، وتلقى أصحاب محمد وتعلمهم: أن خلفاءنا وموالينا قد وافونا من الأحابيش، حتى يرجعوا عنا، ولك عندي عشرة قلائص أملؤها تمراً وزبيباً؟. قال: نعم. فوافى من غد ذلك اليوم حمراء الأسد، فقال لأصحاب محمد ﷺ: أين تريدون؟. قالوا: قريش. قال: ارجعوا؛ فإن قريشاً قد أجنحت إليهم خلفاؤهم، ومن كان تخلف عنهم، وما أظن إلا وأوائل القوم قد طلعوا عليكم الساعة. فقالوا: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[3]، ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: «ارجع يا محمد؛ فإن الله قد أرهب قريشاً، ومروا لا يلوون على شيء».

ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأنزل الله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لله وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾[4] يعني: نعيم بن مسعود، فهذا اللفظ عام ومعناه خاص ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[5]،[6].

روى عكرمة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: «لما انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله ﷺ، لحقني من الجزع عليه ما لم أملك نفسي، وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه، فرجعت أطلبه فلم أره، فقلت: ما كان رسول الله ليفر، وما رأيته في القتلى، فأظنه رفع من بيننا، فكسرت جفن سيفي، وقلت في نفسي: لأقاتلن به عنه

---

(١) سورة النساء: ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٠.

(٣) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٤) سورة آل عمران: ١٧٢.

(٥) سورة آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤.

(٦) قصص الأنبياء للراوندي: ص٣٤١ ب٢٠ ح٤١٨. وللتفصيل راجع تفسير القمي: ج١ ص١١٠ -١٣٠ سورة آل عمران غزوة أحد.

حتى أقتل، وحملت على القوم فأفرجوا، فإذا أنا برسول الله ﷺ وقد وقع على الأرض مغشياً عليه، فقمت على رأسه فنظر إليَّ، فقال: ما صنع الناس يا علي؟.

فقلت: كفروا يا رسول الله، وولوا وأسلموك.

فنظر إلى كتيبة قد أقبلت فقال ﷺ: رد يا علي عني هذه الكتيبة، فحملت عليها بسيفي أضربها يميناً وشمالاً حتى ولوا الأدبار. فقال لي النبي: أ ما تسمع مديحك في السماء إن ملكاً يقال له: رضوان، ينادي: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، فبكيت سروراً وحمدت الله على نعمه».

وتراجع المنهزمون من المسلمين إلى النبي ﷺ، وانصرف المشركون إلى مكة، وانصرف النبي ﷺ إلى المدينة، فاستقبلت فاطمة عليها السلام ومعها إناء فيه ماء فغسلت به وجهه، ولحقه أمير المؤمنين عليه السلام ومعه ذو الفقار، وقد خضب الدم يده إلى كتفه، فقال لفاطمة عليها السلام: «خذي هذا السيف قد صدقني اليوم، وقال:

أ فاطم هاك السيف غير ذميم ... فلست برعديد ولا بمليم

لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد ... وطاعة رب بالعباد عليم»

وقال رسول الله ﷺ: «خذيه يا فاطمة فقد أدى بعلك ما عليه، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش»[1].

تراجع الكفار إلى مكة

نعم، إن جبرئيل عليه السلام ـ بعد معركة أحد ـ قد نزل يخبر رسول الله ﷺ بأن أبا سفيان وأصحابه يريدون القيام بهجوم على المسلمين مرة ثانية للقضاء عليهم، فقام الرسول الأعظم ﷺ بجمع المسلمين، وباغتهم بأن أظهر أنه يريد الهجوم عليهم وقتالهم؛ وقد سبب ذلك تراجع الكفار إلى مكة.

إن رسول الله ﷺ اتبع في تاريخ الحروب أسلوباً وتكتيكاً فريداً؛ فعلى الرغم من أن المسلمين كانوا لا يمتلكون القوة والمئونة الكافية من الماء والغذاء للاستعداد لمواجهة العدو في معركة ثانية، وهذا مما يبطئ المقاتل ويقعده عن مواجهة أعدائه، نرى الرسول الأعظم ﷺ قد أمر من بقي من المسلمين، وفيهم الجرحى بالذهاب نحو العدو الذي كان يستعد للهجوم عليهم مرة ثانية، وكان هدف الرسول ﷺ من هذا الإجراء إدخال الخوف والرعب في قلوب المشركين، والإشارة إليهم بأن لا تظنوا بأننا نخاف منكم بسبب الإصابات والجراحات التي نالت المسلمين، فنحن اليوم نرسل إليكم هؤلاء المجروحين، وهؤلاء سوف يوقعون بكم الهزيمة والانكسار وهم جرحى، فكيف بكم إن واجهكم الجيش الاحتياطي الذي لم ير تعباً ولا أذى؛ وهذه هي مسألة تكوين الخط الثاني للجيش، ومن فوائده إلقاء الرعب في قلوب المشركين والمنافقين.

ولما أمر الرسول الأعظم ﷺ الخط الأول وهم الجرحى بالذهاب إلى القتال، ترددوا قليلاً في بادئ الأمر، وأخذ يسأل بعضه بعضاً: هل نملك الاستعداد الكافي لذلك، جراحنا لا زالت تؤلمنا؟. ولا ريب أن وسائل التضميد

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى: ص١٩٣ الركن الثاني ب٤ ف٢.

والمداواة كانت آنذاك بسيطة وقليلة ؛ إذ كانوا يحرقون جريد النخل ويضعون رماده على الجرح لأجل إبرائه[1].

فعندما ظهر التردد في المسلمين نزلت الآية الكريمة : ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه﴾[2]، فإن كان عذركم أيها المسلمون هو إصابتكم بالجروح والأذى، فقد مس أعداءكم القرح الكثير أيضاً، بالإضافة إلى أنهم قطعوا مسافات طويلة تقارب الـ (٥٠٠) كيلومتر بحساب اليوم، لكون هذه المعركة ـ معركة أحد ـ كانت بالقرب من المدينة المنورة، والمسافة بين مكة والمدينة ما يقارب (الخمسمائة) كيلومتر.

هذا، بغض النظر عما يرافق ذلك الطريق الشاق من حرارة الشمس القوية والجوع والعطش، كل ذلك قد عاناه الكفار من أجل الوصول إلى ساحة المعركة ؛ ولذا نرى أن الخطاب كان موجهاً إلى تلك الفئة من المسلمين، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾[3] ولم يقل إن يصبكم، فهنا إشارة بلاغية رائعة ؛ وهي أن المس لا يصيب إلا الجسد، ومعناه: إن قلوبكم سالمة، وأن إيمانكم لا يزال في قوته وصلابته، فليس من المهم جداً إصابة الجسد ببعض الجروح، بل المهم هو بقاء المحتوى الروحي والإيماني سالماً لم يمسه شيء[4].

فأنتم أيها المجاهدون، قلوبكم صالحة وما تزال الروح الإيمانية تعيش في داخلها، وشخصياتكم ما تزال شامخة وصلبة، والسنة الإلهية هي أن يجعل الله قدرات الدنيا عند من هو أكثر عملاً وسعياً، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في آيات كثيرة، حيث قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾[7].

من هنا يلزم أن لا يتوقع الإنسان أن تكون قدرات الدنيا بيده، وهو لم يقدم عملاً لذلك، فكل من يسعى ويبذل الجهود فإن النصر والفلاح سوف يكون من نصيبه، وإن تقاعس عن الذهاب إلى الحرب وتخاذل في صد العدو فإن الهزيمة والانكسار سوف تكون من نصيبه والنصر لأعدائه.

من أعان ظالماً سلطه الله عليه

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من أعان ظالماً سلطه الله عليه»[8].

ذكر في الإذاعات العالمية: إن الشاه المخلوع[1] ذهب إلى أنور السادات[2] حاكم مصر، ظاناً بأنه سيرجع إلى

---

(١) بحار الأنوار: ج٢ ص١٤٤ ب١٢ ح٥٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٠.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٠.

(٤) أما التعبير بالنسبة إلى المشركين فهو من باب المماثلة والتشاكل الذي عبر به بالنسبة على المسلمين.

(٥) سورة النجم: ٣٩.

(٦) سورة آل عمران: ١٤٠.

(٧) سورة الإسراء: ٢٠.

(٨) الخرائج والجرائح: ج٣ ص١٠٥٨ ب١٩.

(١) محمد رضا بهلوي إمبراطور إيران السابق وحاكمها الأوحد، ولد عام (١٩١٩م) خلف والده الذي أزيح عن الحكم بأمر الغرب، فتوج ملكاً عام (١٩٤١م). برز اسمه عالمياً عندما عارض تأميم النفط الذي أقدم عليه رئيس وزرائه محمد مصدق مطلع الخمسينات، أخذ يوسع نفوذه وسيطرته على البلاد، فقام بتعزيز قدرة الأجهزة الأمنية فشكل جهاز (السافاك) بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، واتبع سياسة توسعية في المنطقة عرف على إثرها بشرطي المنطقة. أقام علاقات تحالف سياسي وأمني واقتصادي مع إسرائيل.

برزت نقمة الشعب الإيراني عليه بعد الاحتفال الأسطوري الذي أقامه بمناسبة مرور (٢٥٠٠ سنة) على إنشاء الدولة الفارسية، وقد صرف على ذلك الاحتفال مبالغ ضخمة قدرت بمئات الملايين من الدولارات، بينما الشعب الإيراني كان يعيش تحت مستوى الفقر. وكان يصرف ببذخ على بناء القصور، وشراء الأسلحة بشكل أذهل العالم، فأصبحت إيران أكبر مستودع للأسلحة في العالم، كما كان يمتلك أسطولاً من السيارات الغالية الثمن لاستعماله الشخصي قدر عددها بـ (٣٠٠٠ سيارة) أكثرها محلى بالذهب ومن أفخر الماركات العالمية وأغلاها، إضافة لعدد كبير من القصور منتشرة في جميع أنحاء العالم. ولعل من أكبر الأخطاء التي أرتكبها الشاه حين أمر بمصادرة حوالي (٣ مليارات) دولار تخص كثير من أفراد عائلته ومن كبار التجار الإيرانيين بعد أن علم أنهم قاموا بتهريب تلك المبالغ خارج إيران بعد محاولة الانقلاب الفاشل الذي أحبط في عام (١٩٧٨م) مما سبب في كره عائلته وابتعاد كثير من التجار والقوى الفاعلة عنه. كما أثار حقد الناس عليه تسرب خبر المجوهرات والحلي التي قدرت بمئات الملايين كانت تمتلكها زوجته الشاهبانو فرح ديبا (زوجته الأخيرة، حيث كان قد تزوج قبلها فوزية أخت الملك فاروق وطلقها، ثم تزوج ثريا اسفند ياري وطلقها أيضاً، وأخيراً تزوج فرح ديبا التي مات عنها).

ومن أسباب ثورة الناس عليه أو الشعرة التي قصمت ظهر البعير هي حين كشفت فضيحة استيراد حليب الأطفال الفاسد والذي وزع مجاناً على الشعب، وهو غير صالح للاستهلاك الآدمي، وكانت السويد تقدمه للأبقار بعد خلطه بالعلف، وقد قامت باستيراد هذا الحليب المؤسسة التي تعود ملكيتها لزوجة الشاه فرح ديبا. إضافة إلى كل ذلك معاناة قطاع كبير من الشعب من مطاردة البوليس السري لهم والمسمى (بالسافاك) وقيام هذا البوليس بأبشع وسائل التعذيب والاضطهاد لأتفه الأسباب مع كثير من أفراد الشعب، كما قاموا بالتصفية الجسدية لكثير من المعارضين.

فقامت ـ بأمر من العلماء والمراجع ـ المظاهرات الحاشدة من جميع فئات الشعب واستمرت ليلاً ونهاراً بلا انقطاع، وكانت أعداد القتلى تتزايد يوماً بعد يوم إلى درجة أن قسماً كبيراً من الجيش انضم للمتظاهرين بسبب تأثره للوحشية التي كانت تقاوم بها المظاهرات، مما اضطر الشاه إلى مغادرة إيران بطائرته الخاصة عام (١٩٧٩م). نزلت طائرته في مصر وكان يشعر بالإحباط الشديد بسبب عدم رغبة كثير من دول العالم استقباله، أصيب الشاه بتوعك شديد، فتوفي في مصر بعد إجراء عملية جراحية له، وقد تم تشييع الشاه في جنازة عسكرية أقامها له أنور السادات. وقد أثيرت كثير من الشائعات حول وفاته، حيث تقول تلك الشائعات بأن مخابرات إحدى الدول الكبرى قامت بالتخلص منه. وأن أحد الجراحين أحدث جرحاً بالخطأ أثناء العملية وتسبب ذلك الجرح في حدوث خراج أدى إلى تسمم جسده وموته عام (١٩٨٠م).

(٢) ولد محمد أنور السادات عام (١٩١٨) في قرية (ميت أبو الكوم) بمحافظة المنوفية في دلتا نهر النيل لأسرة فلاحية. تخرج ضابطاً في سلاح الإشارة فخدم في الجيش المصري سنوات عديدة ترقى إلى رتبة نقيب، ضمه جمال عبد الناصر إلى تنظيم (الضباط الأحرار) والذي كان في ذلك الوقت يستعد إلى القيام بحركة ضد النظام القائم في مصر آنذاك. أسند إليه جمال عبد الناصر عام (١٩٥٢) مهمة قطع الاتصالات الهاتفية، واحتلال دار الإذاعة في القاهرة، وهو الذي قرأ أول بيان لحركة الجيش التي كان يقودها عبد الناصر آنذاك.

عرشه ومنصبه، ولكنه واهم في ذلك؛ فكما أن الإنكليز قد قتلوا أباه من قبل فإنهم سيقتلونه أيضاً[1].

وقصة قتل أبيه رضا خان[2] معروفة، حيث إن الإنكليز في بداية الأمر عزلوه من السلطة لكونهم هم الذين

أصبح أنور السادات عضواً في مجلس قيادة الثورة الذي تولى السلطة بعد طرد الملك فاروق، وفي سنة (١٩٥٤م) اختاره جمال عبد الناصر عضواً في محكمة الشعب، التي تولت محاكمة أعضاء التنظيم السري للإخوان المسلمين، بعد محاولة اغتيال عبد الناصر، ثم رئيساً لمجلس الأمة بعد الانفصال الذي حصل بين مصر وسوريا بعد الوحدة بين القطرين، وذلك عام (١٩٦١م)، ثم أصبح نائباً لرئيس الجمهورية، وعضواً في اللجنة التحضيرية العليا للإتحاد الاشتراكي العربي في أيلول عام (١٩٦٩م).

تولى رئاسة الجمهورية بصفة مؤقتة بعد وفاة عبد الناصر عام (١٩٧٠)، ثم رئيساً للجمهورية في العام نفسه، هاجم إسرائيل عام (١٩٧٣) وبعد أربع سنوات أدار ظهره للحرب، زار القدس عام (١٩٧٧م) أجرى لقاءات مع المسئولين الإسرائيليين لأجل السلام في المنطقة وانتهت هذه المناقشات على التوقيع على اتفاقية (كامب ديفيد) عام (١٩٧٨) بعدها طردت مصر عن جامعة الدول العربية. انتهج سياسة الانفتاح الاقتصادي مع الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وتشجيع الاستثمارات الأجنبية. اغتيل أنور السادات عام (١٩٨١م) خلال استعراض عسكري، على يد تنظيم إسلامي.

(١) وهكذا كان حيث قتلوه تحت غطاء عملية جراحية، ولم يقدروا له ما قدم لهم من خدمات طيلة حكمه.

(٢) رضا بهلوي (١٨٧٨ -١٩٤٤م) شاه إيران، ومؤسس أسرة بهلوي الحاكمة منذ عام (١٩٢٥م) وهو محمد رضا بن عباس علي خان ولد عام (١٨٧٨م) أرمني من منطقة كرجستان هاجر إلى إيران في زمن القاجار، درس الفنون العسكرية والتحق بالجيش الإيراني عام (١٩٠٠م) وتدرج في المناصب العسكرية، اشترك عام (١٩٢٠م) في الثورة التي ناهضت تغلغل السوفييت في إيران، وفي السنة التالية عين قائداً عاماً للجيش فوزيراً للحربية ثم رئيساً للوزراء عام (١٩٢٢م) فعمل على تنظيم الجيش، وفي عام (١٩٢٥م) أعلن البرلمان الإيراني نزول الشاه القاجاري عن العرش فقدم التاج له، فلقّب نفسه بالبهلوي.

حكم بالظلم والجور والاستبداد، ونشر الفساد، اتسم حكمه بإحياء القومية الفارسية، ونشر المذهب البهائي، والقضاء على المعالم الإسلامية بهدم المساجد والمدارس، ومنع رجال الدين والفكر من ممارسة أدوارهم في الحياة، ونشر مظاهر الفساد كالخمر والقمار ودور البغاء. كان سلوك رضا خان متناقضاً قبل الحكم وبعده، فبينما هو ينادي بشيء قبل حكمه، ويتظاهر بتأييده، وإذا به يرفضه ويحاربه بعد استيلائه على مقاليد الحكم؛ فقبل تربعه على كرسي السلطة، كان رئيساً لمجموعة من فرق الجيش يقودها في يوم عاشوراء في مراسيم عزاء التطبير، ويتظاهر بالإيمان والتديّن والحزن والقيام بالشعائر الحسينية، كما كان يذهب إلى منازل العلماء ليعرّف جنوده على أنهم جنود الإمام الحجة عليه السلام. ولعله واصل إظهار نفسه بهذه الصورة حتى في بداية حكمه، حيث كان يتردد على منزل المرجع الكبير الشيخ عبد الكريم الحائري، ويطلب رسالته العملية ويدعّي أنه أحد مقلديه، وعندما توفي الشيخ الحائري منع من إقامة مجالس الفاتحة على روحه؟!

لكنه حينما استتبت له الأوضاع أشاح اللثام عن وجهه الحقيقي، وأظهر الخافي من نواياه الخبيثة، فبدت عداوته للإسلام والتشيع والشعائر الحسينية! استمات في خدمة أسياده الغربيين في محاربة الإسلام إلى حد أنه منع الحجاب، وأباح التبرج والفجور، وأخذ يمنع إقامة الشعائر الحسينية! الأمر الذي دفع بالعلماء إلى أن يقفوا في وجهه، ويتخذوا منه موقف العداء، ومنهم الشيخ عبد الكريم الحائري نفسه، وفي زمنه حدثت واقعة (مسجد كوهر شاد) بمدينة مشهد حيث قُتل ألوف الناس فيها.

أعلن الحياد في الحرب العالمية الثانية لكن الحلفاء احتلوا بلاده لدواعي استراتيجية، مما أدى إلى عزله وتنصيب ابنه مكانه، فأجبر على التنازل لابنه محمد (١٩٤١م). نفاه الإنجليز إلى جزيرة موريس بعد أن صادروا مقتنياته من الحقائب المملوءة بالمجوهرات والأشياء الثمينة بعد حكم دام ستة عشر عام، وقتل في منفاه عام (١٩٤٤م) فدفن في طهران. نعم، نبذه أسياده بعد أن

جاءوا به إلى الحكم. وإني أتذكر يوم عزله حيث كان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية، فعزلوه عن منصبه وأرسلوه إلى جزيرة موريس[1]، وكان ذلك جزاءً منهم لخدماته الكثيرة لهم، والتي لا تعد ولا تحصى، ابتداءً من جعل ثروات إيران بين أيديهم، ومحاربة الإسلام وتخريب المساجد وتشجيعه النساء على خلع الحجاب، بل فرضه عليهن ذلك، وانتهاءً بمحاربة العلماء الأعلام وزجهم في السجون وممارسة أبشع أنواع التعذيب بحقهم، وإدخال الكثير من العملاء والجواسيس الأجانب وتوطينهم في البلاد، بالإضافة إلى الخدمات الأخرى غير ذلك، ولكن كانت نتيجتها أن يموت شر ميتة وفي أسوأ مكان!! حقاً إن: «من أعان ظالماً سلطه الله عليه».

وهذه سنة الحياة، فإذا رأيت مثلاً عقرباً يتوجه نحو إنسان، فلابد أن تسعى لقتل ذلك العقرب، فإذا لم تتحرك لإنقاذ ذلك الإنسان وقتل العقرب، فسوف يأتي عقرب آخر ويقتلك.

يذكر أنه بسبب رداءة الهواء وتلوث المياه، تمرض رضا خان مرضاً شديداً، وطلب من أسياده الإنكليز أن يهيئوا له طبيباً لمعالجته، لكنهم لم يوافقوا على طلبه بل تركوه منبوذاً مطروداً، حتى جاء أمر من رئيس وزراء بريطانيا (تشرشل) [2] إلى ممثله في الجزيرة بأن يرسلوا إليه طبيباً ليزرقه إبرة الموت، وذلك بعدما ترجى ولده من الحكومة البريطانية بأن يرفقوا به ويرسلوه إلى موسكو ليقضي آخر أيام حياته هناك، ولكن تشرشل لم يوافق على ذلك، بل أرسل له الطبيب لينهي حياته تلك الحياة التي جعلها في خدمة من قتله، وتناقلت الصحف العالمية ذلك الخبر.

وهذا العمل يفعلونه مع أي عميل لهم بعد أن تنفذ طاقته ويعد غير ذي فائدة لهم؛ لأن غايتهم النهب والاستغلال والتوسع.

ثم إن الحكومات الاستعمارية متشابهة في مكرها وفسادها، وظلمها وسلبها لحقوق الشعوب، مهما تبدلت

استنفذوا منه أغراضهم، وحقق لهم ما يريدون، فنفوه إلى جزيرة موريس، ولم ينسوا أن يأخذوا منه قبل ذلك (الحقائب الألف) المملوءة بالذهب والمجوهرات والأمور الثمينة، التي كانت حصيلة سرقاته من بلده.

(١) جزيرة تقع في المحيط الهندي شرقي مدغشقر ، كانت مستعمرة فرنسية ثم صارت بريطانية، ونالت استقلالها عام (١٩٦٨م) وأصبحت عضواً في الكومنولث، من محصولاتها قصب السكر.

(٢) ونستون تشرشل (١٨٧٤ - ١٩٦٥م) السير ونستون ليونارد سبنسر، سياسي ورجل دولة، ينتمي إلى أسرة بريطانية معروفة، زعيم لحزب المحافظين، رئيس الحكومة عام (١٩٤٠ - ١٩٤٥م) و(١٩٥١ - ١٩٥٥م) أسهم في انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية. بدأ حياته العملية في الخدمة العسكرية في الهند وكوبا والسودان عام (١٨٩٥م) عمل كمراسل حربي، وأسر في حرب البوير في جنوب أفريقيا، وعلى إثر عودته انتخب نائباً عن حزب المحافظين في البرلمان، وانضم إلى حزب الأحرار، وعين وزيراً للتجارة عام (١٩٠٨م)، وبقي يتسلم المهام الوزارية الكبرى كوزارة الداخلية ووزارة البحرية، ووزيراً للمتسعمرات إلى عام (١٩٢٢). حذر من عواقب هتلر والنازية، وعند نشوب الحرب العالمية الثانية انتخب رئيساً للوزراء، واكتسب شهرته لدوره في قيادة بريطانيا في أثناء الحرب. عارض استقلال المستعمرات البريطانية، فشل حزبه في انتخابات عام (١٩٤٥م)، ثم عاد إلى رئاسة الوزراء عام (١٩٥١م) وتقاعد عن الحياة السياسية عام (١٩٦٤م). كان متطرفاً في ولاءه لليهود ولعب دوراً خطيراً في دعم مشروع إقامة دولة صهيونية في فلسطين على حساب العرب. الموسوعة السياسية : ج١ ص٧٤١.

الألوان والشخصيات والأسماء، بل هم حقيقة واحدة بشخصيات متعددة.

فلا تتصور أن كذب ومكر الأعداء يقل شيئاً بتبدّل الأشخاص والمناصب، فإن الكلام كثيراً ما يختلف عن واقع الأمر وحقيقته، والسياسة الاستعمارية الظالمة التي تنتهجها تلك الأنظمة الفاسدة هي المؤثرة في الواقع.

فترى من أعمالهم الإجرامية أنهم كانوا يقتلون مناوئيهم في (بنما) ـ مثلاً ـ وذلك بأن يقولوا لطبيب ما: اذهب إلى هذا الشخص وأعطه الدواء الفلاني، حيث يتصور فيه علاجه، وإذا فيه هلاكه، ثم ينشر خبراً بأنه أصيب بمرض السرطان وتوفي بسببه.

دروس وعبر

اليوم، أمامنا عدو شرس الطباع، وعلينا أن نكون واعين حذرين، وأن نعرف الأفضل للمواجهة، وفي مثل زماننا تكون المواجهة عبر الطرق السلمية وتثقيف الشعب وما أشبه.

إن العدو الذي نواجهه اليوم، هو الاستعمار..

إنها الدول الاستعمارية التي تريد أن تقضي على كل أثر للإسلام، بل تريد الوقوع بنا والنيل من كرامتنا وديننا، فعلينا أن نعرف عدونا بشكل كامل، وأن نقف أمام مؤامراته وحيله بكل قوة وصلابة بالطرق السلمية المشروعة؛ إذ أن لهؤلاء أياد خبيثة يرسلونها إلى كل المناطق لينشروا أفكارهم ومخططاتهم الخطيرة.

مما يلزم على جميع المسلمين أن يعرفوا ما يدور حولهم، وأن يكونوا عارفين بزمانهم، فإن الجاهل بزمانه تهجم عليه اللوابس على عكس العالم بزمانه كما في الحديث الشريف[1].

ومن الاستطراد: أن نقول: إنه يلزم على غير العرب من المسلمين تعلم اللغة العربية بإتقان، وعليهم أن يسعوا في ذلك عبر مناهج في المدارس وغيرها؛ لأن حولنا عشرات بل المئات من الإذاعات والصحف العربية وغيرها من وسائل الإعلام، فإن في هذه الصحف والإذاعات والمجلات الكثير من المطالب والمواضيع المهمة، التي يلزم على المسلم أن يعرفها ويطلع عليها، سواء عبر الإذاعة أو عن طريق الصحف والمجلات، فيلزم على غير العرب من المسلمين أن يهتموا بتعلم اللغة العربية، قراءةً وكتابةً وتلفظاً وبإتقان. وأن يجعلوا ذلك جزءً من اهتماماتهم اليومية؛ فإنهم إذا تعلموا اللغة العربية فسوف يفهمون القرآن بسهولة، وهكذا (نهج البلاغة)[2] للإمام

---

(١) راجع الكافي: ج١ ص٢٧ كتاب العقل والجهل ح٢٩. وفيه: «والعالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس».

(٢) كتاب نهج البلاغة: مجموعة من كلمات وخطب ورسائل أمير المؤمنين عليه السلام، جمعها السيد الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي (٣٥٩ - ٤٠٦هـ)، امتاز بالجمال والفصاحة والانسجام التي لم يرد لها نظير، فهي «فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق»، له تأثير عجيب في النفوس والنفوذ إليها، فلم يختص ذلك بزمانه عليه السلام بل ما زال وبعد (١٤ قرناً) له تأثير كبير على كل سامع. يقول السيد الرضي: ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها: أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر، إذا تأمله المتأمل وفكر فيه المتفكر لم يعترضه شك في أنه كلام من لا حظ له في غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة، قد قبع في كسر بيت أو انقطع إلى سفح جبل لا يسمع إلا حسه، ولا يرى إلا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في

أمير المؤمنين عليه السلام، وسائر الروايات الشريفة.

وهكذا سوف يدركون ما يدور حولهم وهذا مما يوجب الوعي السياسي للإنسان.

بالإضافة إلى ذلك كله علينا أن نأخذ حذرنا من أعدائنا الذين يتسللون وينفذون إلى مجتمعاتنا في كل مجال من مجالات الحياة، فترى اليوم[1] في أفغانستان التي تخضع للقوات السوفيتية المحتلة، الكثير من الأفغانيين يُقتلون في المناطق المحررة من قبل أيادي الاحتلال، فيكف استطاع هؤلاء الروس أن يتسللوا أو يرسلوا عملاءهم إلى المناطق المحررة؟.

وقبل مدة جاءني رجل من الاتحاد السوفيتي[2] عبر الحدود مع إيران وبكل صعوبة، فقال: إن هناك الكثير من عملاء الروس يدخلون إيران عبر الحدود دون علم أحد، ويحملون معهم الأسلحة، ويأتون بالإعلانات والنشرات التبليغية أيضاً، ولكن في المقابل حدودهم مغلقة أمامنا، فلا نستطيع الذهاب إلى طرفهم؛ لكونهم قد

الحرب مصلتاً سيفه، فيقطع الرقاب ويجدل الأبطال، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الأبدال. وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد، وألف بين الأشتات.

(١) يعود تاريخ كتابة هذه الأسطر إلى ما قبل سقوط الاتحاد السوفيتي.

(٢) كانت روسيا تتألف من سلسلة من الاقطاعات توحدت تحت قيادة (دوق موسكو) لتصبح إمبراطورية شاسعة مترامية الأطراف غير مستقرة، انهارت منتصف الحرب العالمية الأولى. وبفعل الانتفاضات والجرائم العسكرية تخلى الدوق نيقولا الثاني عن العرش عام (١٩١٧م)، فقامت حكومة مؤقتة كان أشهر قادتها الكسندر كيرنسكي، ولكثرة الأعباء الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لم تستطع الحكومة المؤقتة تحملها إلى أن جاء لينين فأطاح بهذه الحكومة المؤقتة تحت جناح الحزب البولشفي الاشتراكي الروسي. سمي النظام الجديد بالنظام السوفيتي. أعلن لينين نظاماً جديداً سماه: دكتاتورية البروليتاريا، وتأميم الأرض، ووسائل الإنتاج، والمصارف وسكك الحديد، كما أعلن تأسيس أول دولة اشتراكية في العالم سميت جمهوريات روسيا الاتحادية السوفيتية.

كان يعتبر الإتحاد السوفيتي أكبر بلد في العالم من حيث المساحة، يمتد من بحر البلطيق إلى المحيط الهادي، تبلغ مساحته (٢٢ر٤٠٢ر٢٠٠ كلم٢)، يبلغ عدد سكانه (٢٧٥ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة).

وكان يتكون الاتحاد السوفيتي من (١٥جمهورية) وهي من الغرب: كريليا، واستونيا، ولتفيا، وليتوانيا، وبيلو روسيا، واوكرانيا، وملدافيا، وفي القوقاز: جورجيا، وأرمينيا، وأذربيجان، وفي آسيا الوسطى: قازغستان، وتركمانستان، وطاجكستان، وقرغيزستان، وأزبكستان. كان الحزب الشيوعي هو الحزب الوحيد في البلاد، وبيده كل السلطات، وكانت الانتخابات لا تعدو أن تكون صورية. بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بدأ ستالين بحملة بوليسية صارمة لإشاعة الوفاق الوطني. وبعد موت ستالين عام (١٩٥٣م). وفي أواخر الثمانينات كان الهيكل الدولي يقوم على القطبية الثنائية، ومن ثم صراع عالمي للنظام بين معسكرين: شرقي وغربي، وبين دولتين عظيمتين وبين أيديولوجيتين متناقضتين، الرأسمالية الليبرالية والماركسية اللينينية، ثم بدأ النظام بالتغير خاصة في الاتحاد السوفيتي منذ عام (١٩٨٥م) ولحق التغيير ليس فقط بقيم النظام وفلسفته، بل امتد إلى هيكله وتوزيع القوة داخله أيضاً، وظهر جلياً بشكل محدد في أوائل التسعينات حيث انفرط عقد حلف وارسو، ثم انهار بنيان الاتحاد السوفيتي الذي آل في النهاية (كانون الأول عام ١٩٩١م) إلى الزوال وأصبح جزءً من الماضي والتأريخ الأسود. وكان آخر رئيس للاتحاد السوفيتي هو غورباتشوف الذي تفككت الدولة على يديه.

وضعوا مراقبة مكثفة على الحدود مع إيران ومع كل من يجاورهم، عبر نصب الأسلاك الشائكة، وجدار حديدي وأبراج للمراقبة، وعدد كبير من رجال الحدود أيضاً. ولقد شيّد ستالين[1] هذا الجدار المذكور على طول الحدود السوفيتية مع البلدان الأخرى؛ لكي لا يدخل أحد في أراضيهم، ولا يستطيع آخر الهروب والفرار منهم، فإنه إذا دخل شخص في بلادهم وأراضيهم سوف لا يرى إلا الجحيم والاختناق وهذا يوجب تشويه سمعتهم، وإذا خرج شخص منهم سوف يرى ـ ولو نسبياً ـ الحرية والنور والإنسانية والكرامة الموجودة للإنسان خارج بلاده، ويعلم بأنه في بلاده لم يمتلك حتى الرغيف ولا أبسط شيء من الحرية؛ ولذلك لو دخل شخص في بلادهم يجعلونه تحت المراقبة الأمنية المشددة، حتى أن البعض عندما ينزل في فنادقهم فإنهم يراقبونه عبر الوسائل الخاصة لاستراق السمع وما أشبه في أموره كلها.

فنحن المسلمين يجب علينا أن نأخذ الحذر من أعدائنا، وأن نحفظ بلداننا الإسلامية من كيد الأعداء وتسللهم، ولابد أن نضعهم تحت المراقبة كما هم يضعوننا تحت المراقبة الشديدة، إن الأعداء يحيطون بنا من كل جانب ومكان، فهذا الطاغية صدام[2] وحزبه الكافر، وغيره من عملاء الإمبريالية العالمية قد سيطروا على الشعوب

---

(١) جوزيف ستالين (١٨٧٩ - ١٩٥٣م) سياسي روسي ترأس الحزب الشيوعي (١٩٢٢م) خلف لينين في زعامة الحزب والدولة عام (١٩٢٤م) حتى وفاته، حكم الإتحاد السوفيتي حكماً مطلقاً من عام (١٩٢٨ - ١٩٥٣)، نشأ في ظل لينين ـ مفكر الاتحاد السوفيتي ـ واستلم قيادة الحزب والدولة من بعده ففتك بمعارضيه، ودعم أسس الدولة السوفيتية وفق نظرية (الاشتراكية في بلد واحد) وقاد بلاده نحو الانتصار في الحرب العالمية الثانية، وتقاسم مناطق النفوذ في العالم مع الولايات المتحدة الأمريكية من خلال مؤتمر يالطا محولاً الاتحاد السوفيتي إلى أحدى أقوى دولتين في العالم.

أقام دكتاتورية حمراء لا تعرف الشفقة ولا التساهل، فنظم ما بين عام (١٩٣٤ إلى ١٩٣٨) سلسلة محاكمات شهيرة عرفت بمحاكمات موسكو، كانت ذريعتها اغتيال كيروف معاون ستالين في الدولة.

(٢) طاغوت العراق المخلوع وأتعس نموذج للدكتاتوريين، صاغه الغرب وفق متطلبات المنطقة وظروفها السياسية، وحافظ على أمنه الشخصي في أدق الظروف وأحلك اللحظات. ولد عام (١٩٣٩م) في قرية العوجة جنوب تكريت، نشأ نشأة غير سوية بشهادة كل من عرفه، انتمى إلى حزب البعث واشترك مع بعض عناصر الحزب في محاولة فاشلة لاغتيال عبد الكريم قاسم عام (١٩٥٩م) هرب إلى سوريا ومنها إلى مصر. وخلال فترة بقائه في القاهرة كان يكثر التردد على السفارة الأمريكية، فقد ذكر في صحيفة الشرق الأوسط ـ عن أحد كبار المسئولين العرب ـ بأن عبد الناصر أبلغ المسئول العربي أن صدام هو رجل أمريكا الأول في المنطقة في المستقبل، وقد كان دائم التردد على السفارة الأمريكية بالقاهرة، وأن المخابرات المصرية قد صورت ورصدت كل تحركاته واتصالاته بالسفارة الأمريكية.

اشترك في انقلاب (١٧ تموز ١٩٦٨م)، وبعد نجاح الانقلاب كان صدام المنفذ الأول لتصفية مجموعة عبد الرزاق النايف المشتركة في الانقلاب، وذلك بعد ثلاثة عشر يوماً من انقلابهم، أي في يوم ٣٠ تموز. أصبح صدام نائباً لمجلس قيادة الثورة في عام (١٩٧٠م) ورئيساً للجمهورية حال غياب البكر عن البلاد.

وفي عام (١٩٧٩م) أصبح رئيساً للجمهورية بعد إقصاء البكر عن الحكم، ألغى اتفاقية الجزائر التي وقعها مع شاه إيران عام (١٩٧٥) فهاجم إيران عام (١٩٨٠م) فاندلعت حرب استمرت ثمان سنوات أحرقت الأخضر واليابس، راح ضحيتها من الشعبين ما يزيد على مليوني إنسان، وبعدما توقفت الحرب عاد صدام واعترف باتفاقية الجزائر التي ألغاها!!

المسلمة بإسناد من الاستعمار.

وكما هو المعروف فإن عفلق[1].. وبيغن[2] رئيس الحكومة الإسرائيلية، كانا زميلين في صف دراسي واحد

هاجم الكويت واحتلها عام (١٩٩٠م) فاندلعت حرب الخليج الثانية، فقامت قوات الحلفاء بقيادة أمريكا بمهاجمة الجيش العراقي بغية إخراجه من الكويت وتم ذلك، فلم تضع تلك الحرب أوزارها حتى كان العراق يعاني من دمار شامل في جميع مرافق الحياة وفي كل بناه التحتية، وضحايا لم تضبط أعدادها، ووضع العراق تحت حصار طويل الأمد بقرار من مجلس الأمن بحجة تدمير أسلحة الدمار الشامل التي طالما تبجح الطاغية صدام بها متوعداً أميركا وإسرائيل بحرقهم بها، والتي لم يستخدمها إلا مع شعبه في حلبجة وباقي مدن العراق أبان انتفاضة عام (١٩٩١م)، التي قمعها صدام بوحشية لا مثيل لها، حتى قدر عدد من قتل وأعدم واختفى بما يزيد على (٥٠٠ ألف) ـ وقيل مليون ـ عراقي.

انهار نظام صدام واحتل العراق بحرب شنتها أميركا عام (٢٠٠٣م) بالتحالف مع بريطانيا وبعض الدول الأخرى، فهرب صدام وأعوانه من المعركة، ألقي القبض عليه مختبئاً في جحرٍ تحت الأرض كالجرذ بعد كل ذلك الجبروت والكبرياء والفرعنة التي اتسم بها طيلة حياته، وهذا حال الكثير من أركان نظامه الذين تم إلقاء القبض عليهم تباعاً، فاستراح الشعب منه ومن جرائمه، وهو اليوم ينتظر محاكمته ذليلاً حقيراً مذموماً مدحوراً، فالحمد لله قاصم الجبارين.

(١) ميشيل عفلق: مسيحي من أم يهودية مواليد دمشق (١٩١٠م)، أحد مؤسسي حزب البعث مع صلاح الدين البيطار وأكرم الحوراني وغيرهم، سافر إلى باريس عام (١٩٢٨م) للدراسة فتخصص بدراسة تاريخ الثورات وتاريخ الأديان، وكان تحت رعاية المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون الذي يعتبره من أحسن تلاميذه المؤمنين بأفكاره، وفي عام (١٩٣٢م) عاد إلى دمشق مع صلاح البيطار وامتهنا التدريس ليبثا من خلاله أفكارهما الغربية والقومية في المجتمع بين الطلاب والأساتذة، وفي عام (١٩٤١م) أسس حركة الإحياء العربي.

ترك التدريس ليتفرغ لتأسيس حزبه الذي أعلن عنه عام (١٩٤٧م)، وبعد الانشقاقات التي حصلت داخل الحزب عام (١٩٦٦م) مال عفلق مع الجناح الدموي للحزب في العراق وكان راعيه وعرابه، وفي عام (١٩٨٩م) سافر إلى باريس للعلاج فهلك في إحدى مستشفيات باريس بعد عملية جراحية، أعيدت جثته إلى بغداد وقبر فيها، فعمل له النظام الحاكم ضريحاً لكي لا ينسى العراقيون أبرز رموز مأساة الأمة الإسلامية والعراق، فتظل شاخصة أمام العراقيين، هدم قبره بعد انهيار نظام صدام.

وفي رسالة للبابا بولس الأول إلى عفلق، قال له فيها: إنك خدمت المسيحية أكثر من أغلب الرهبان!!.

(٢) مناحيم بيغن: ولد عام (١٩١٣م) في بولندا من أب صهيوني قتله الألمان فترك ذلك أثراً عظيماً في نفسه، كان زعيماً إرهابياً صهيونياً، ورئيساً لحزب حيروت الفاشي، وقائد منظمة أرغون الإرهابية.

تخرج من كلية الحقوق في جامعة وارسو، وانضم إلى منظمة بيتار الصهيونية عام (١٩٢٩م) كان هدفها إعداد الشباب للهجرة إلى فلسطين والقتال في سبيل الصهيونية، ثم تولى قيادة المنظمة الإرهابية أرغون، حيث مارس بيغن من خلالها أشد الإرهاب ضد الشعب الفلسطيني وضد القوات الإدارية البريطانية، ومن أكبر أعماله الإجرامية نسف فندق الملك داود مقر حكومة الانتداب البريطاني، ومذبحة دير ياسين، وبعد إنشاء الكيان الصهيوني أسس حزب حيروت، ثم انضم إلى كتله حكومة الحزب عام (١٩٦٧م) وشغل منصب وزير بلا وزارة، وفي عام (١٩٧٧م) انتخب رئيساً للوزراء. حقق بيغن مكسباً كبيراً بعقده اتفاقية كامب ديفيد عام (١٩٧٩م) مع أنور السادات.

وذلك في فرنسا، وعفلق هو الذي أختار أحمد حسن البكر[1] لرئاسة الحكومة، فأحمد حسن البكر وليد الإسرائيليين وأصله يهودي؛ اسم جده الحقيقي هو (ساسون حسقيل)، وأظهر الإسلام قبل سنين، ولما أسلم وضعوا له أسم (البكر). ولما جاءه ولد سماه حسن، وسمي ابن حسن (أحمد).

وبعده جاءوا بعميل آخر اسمه (صدام) الذي كان أبوه موظفاً في السفارة البريطانية ببغداد، وبعض البغداديين يعرفون ذلك، وربما لا يعرف عن نسبه وأصله شيء يذكر، ولكن المعروف ارتباط أبيه بالسفارة البريطانية..

لهذا اتفقت إنكلترا وإسرائيل على أن يأتوا بصدام على رأس الحكم، فالحكومة البعثية في العراق وليدة الغرب والصهيونية العالمية.

الاستعمار في بلاد الإسلام

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[2]، والنَجَس كما قال أهل اللغة: أشد من (النَّجِس) بالكسر، فإن (النَجِس) بالكسر هو: الخبثَ الذي قد يطرأ على الإنسان، ويمكن إزالته بالماء أو غيره.

بينما (النَجَس) بالفتح لا يمكن تطهيره إلا بقلبه إلى حالة أخرى.

فإن النجاسة الموجودة في الكافر نجاسة ذاتية وليست عرضية، ولا يمكن تطهيرها إلا بقلبه إلى الإيمان، وذلك كالغدة أو الميكروب السرطاني إذا دخل عضواً في جسد الإنسان، فإنه سوف يشل حركته كاملاً.

وكذلك هي الجراثيم الاستعمارية، فإنها تفسد جسداً كاملاً من المسلمين عندما تدخل فيهم، فنرى أن أحمد حسن البكر كيف ينشر الفساد والقتل في أمة كاملة، وهكذا صدام الطاغوت.

لقد جاؤوا بشعارات براقة مثل: (نحن حماة الفلاحين)، (نحن إلى جانب العمال والكادحين)، (جئنا لإنقاذ الفقراء)، وإلى غير ذلك من الشعارات الفارغة، ولكن الواقع العلمي هو تدمير الأمة بكاملها.

قصة من الواقع

وبالمناسبة نذكر قصة، تبيّن كذب تلك الشعارات والادعاءات التي يطلقها من يدّعون أنهم حماة الفلاحين

---

(١) أحمد حسن البكر: من مواليد (١٣٣٣هـ /١٩١٤م) في تكريت، تقلّد منصب رئاسة الوزراء في حكومة عبد السلام عارف، ثمّ منصب رئيس الجمهورية في (١٧/ تموز/ ١٩٦٨م) إثر انقلاب دبره على عبد الرحمن عارف، ومنح نفسه رتبة مهيب ركن بعد الانقلاب. منح أقرباءه وأصهاره وأبناء عشيرته وبلدته رتباً عالية دون استحقاق. تحكمت الطائفية والعصبية في زمانه وتدهورت الزراعة وتردّت الصناعة وملئت السجون بالمجاهدين والأحرار. عرف بلؤمه وغدره حتى بأصدقائه وكان همه تحقيق هدفه بصرف النظر عن الوسيلة. نحي عن الحكم إثر انقلاب دبره عليه زميله في الإجرام صدام التكريتي بتاريخ (١٦ تمّوز عام ١٩٧٩م) بعد أن حكم العراق (١١ عاماً) . قتله صدام بحقنة ترفع نسبة السكر لديه بواسطة الدكتور صادق علوش، وذلك عام (١٩٨٢م).

(٢) سورة التوبة: ٢٨.

والعمال:

كان أحد العلماء الفضلاء يأتي إلى كربلاء المقدسة من مدينة طهران، ويرتقي المنبر إذ كان خطيباً رائعاً إلى جانب تفوقه العلمي، وفي كربلاء كانت لقاءاتي به غير قليلة لما توطد بيننا من العلاقة المتينة والود المتبادل.

في أحد الأيام قال لي: كان ابن أخي شيوعياً يحب الماركسية[1] والفكر الشرقي، فكان يأتي إلى بيتنا ويجلس

---

(١) الشيوعية: مذهب سياسي يهدف إلى القضاء على الرأسمالية والملكية الخاصة. وتعد ـ الشيوعية ـ من أشد المذاهب الاشتراكية تطرفاً، وتتميز بأنها حركة ثورية ترى أن تحقق إنشاء مجتمع يتساوى أفراده في الحقوق لا يكون إلا باستعمال القوة المسلحة؛ فهي لذلك تحارب الديمقراطيات وخاصة التي تشجع الرأسمالية.

يرجع ظهور الحركة الشيوعية في روسيا إلى عام (١٩٠٣م) عندما انشق أتباع كارل ماركس إلى معسكرين: إصلاحي وراديكالي بزعامة لينين. فلما حاز هذا الأخير الأغلبية عرف بحزب الأغلبية التي يعبر عنها في الروسية بكلمة: بولشفيك، ومن هذا قامت العلاقة اللفظية بين البولشفية والشيوعية التي هي مذهب سياسي.

تميزت سياسة لينين (ومن بعده تروتسكي) بمحاولة نشر المبادئ الشيوعية في العالم باستخدام القوة، وذلك بتشجيع الثورة بين الطبقات العاملة في المجتمعات الرأسمالية ـ كما وضحه ماركس في الإعلان الشيوعي ـ لهذا تناهض الشيوعية القوميات والديانات، وتطلب من الشيوعي الولاء التام لعقيدته ولزعمائه.

كما أصبحت سياسة الدول الرأسمالية ـ لاسيما الولايات المتحدة ـ تهدف إلى حصر الشيوعية، والعمل على وقف تسللها وغل يديها عن اكتساب مناطق نفوذ جديدة، فأقامت الأحلاف والقواعد العسكرية على حدود الدول الشيوعية، كما منحت الدول التي يخشى وقوعها في نطاق نفوذ الشيوعية قروضاً وإعانات لرفع مستواها الاجتماعي أو لتقوية دفاعاتها، وقد كانت الحرب الكورية والفيتنامية أمثلة لهذا الصراع العقائدي بين الرأسمالية والشيوعية.

تعرف الدول الشيوعية بدول الديمقراطيات الشعبية أو الدول الاشتراكية، في حين أطلق الغرب عليها اسم دول الستار الحديدي أو الدول البلشفية أو الدول الحمراء، ومع أن إتحاد الجمهوريات السوفيتية يعتبر قاعدة العالم الشيوعي إلا أن المبادئ الشيوعية كما صورها ماركس لم توضع موضع التطبيق الكامل فيها، بل أن الساسة السوفييت بعد وفاة لينين ـ وفي مقدمتهم ستالين ـ لم يروا ضيراً في الانحراف عن المبادئ الماركسية بعض الشيء، وانتهاج سياسة مرنة في معالجة التطبيقات الاقتصادية كحقوق الملكية الخاصة، ومن ثم بدأ الانشقاق العقائدي في المعسكر الشيوعي، فاعتبرت الصين الشعبية (ومعها ألبانيا) أن الإتحاد السوفيتي قد تنكر للمبادئ الماركسية الأصيلة، كما سبق أن كان الانشقاق في المعسكر الشرقي بسبب الخلاف حول مدى تبعية الدول الاشتراكية لموسكو، وعلى هذا الأساس نشبت الحرب الباردة في داخل المعسكر الشيوعي بين الإتحاد السوفييتي ويوغوسلافيا.

وصلت الشيوعية إلى البلاد الإسلامية ومنها العراق، حيث تغلغلت أفكار الشيوعية الإلحادية بين أوساط البسطاء من الجماهير في العراق عبر عملاء الاستعمار، الذين طبّلوا وزمروا كثيراً لتلك الأفكار المزيفة والشعارات الفارغة، فأخذ كثير من السذج والبسطاء من الناس يطالبون بتحقيق العدالة الاجتماعية وفق مبدأ الشيوعية، وعلى أثر ذلك شعر الإمام الراحل(أعلى الله مقامه) ـ الذي كان عمره الشريف آنذاك لم يتجاوز الثلاثين ـ والكثير من العلماء بمسؤوليتهم تجاه تلك الأفكار الفاسدة والآراء المنحرفة، فتصدوا لها عبر وسائل عديدة، موضحين أن الإسلام وحده هو القادر على تحقيق العدالة الاجتماعية. وقد ذكر الإمام الراحل قدس سره بعض تلك الأساليب التي اتبعها في مواجهة الشيوعية، وذلك في كتاب (تلك الأيام، نشر مؤسسة الوعي الإسلامي)، ووصف بعض ما مر على المجتمع نتيجة ظهور تلك الأفكار، فقال:

عندما قام قاسم بالانقلاب العسكري وأسقط الملكية سمح للحزب الشيوعي بالعمل والتحرك بحرية، فانتشر الشيوعيون في كل مكان وملئوا البلاد ضجيجاً وصراخاً، وأخرجوا النساء من بيوتهن وطالبوهن بالتظاهر أمام الرجال، وكانوا يعتدون عليهن في العلن، أضف إلى ذلك أنّهم كانوا يرمون الأفاعي والعقارب الحية على المخالفين لهم، وكانوا يقطّعون أجسام المعارضين في الشوارع قطعة قطعة، ويحرقون المعارض لهم وهو حي بعد أن يسكبوا عليه النفط أو البنزين، أو يعلّقوا المعارض لهم حيّاً كان أو ميّتاً على قنارة القصابين ثم يقطعوه بالساطور أو بعض أجزائه، وكذا يمدّون الضحية على الأرض بعد أن يربطوه بالحبال ثم يُداس بالسيارة الثقيلة المعدّة لتسوية الأرض والتي تسمّى بالرولة (المحدلة). ومن أساليبهم أنّهم كانوا يضعون سيارتين في جهتين متخالفتين، ويربطون قدمي المعارض لهم أو الذي يشكّون أنه معارض إلى السيارتين، إحدى القدمين إلى هذه السيارة والأخرى إلى السيارة الثانية، ثم تتحرك السيارتان في الاتجاهين المختلفين، فينشق الضحية وهو حيّ إلى نصفين.

إلى أن قال ﷺ :ـ ويفعلون المنكرات، وكان يحدث ذلك في بلد المقدسات، بلد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدسة.

عندما حدثت تلك الفجائع في مدينة كربلاء المقدسة على يد الشيوعيين، قررنا تشكيل وفد لزيارة العلماء في مدينة النجف الأشرف؛ لأجل التنسيق مع علمائها الأعلام للوقوف حيال الهجمة الشيوعية الشرسة التي تجتاح البلاد، وكان يرافقني السيد محمد صادق القزويني والشيخ جعفر الرشتي والسيد مرتضى القزويني وعلماء آخرون في حدود العشرين شخصاً. وأول من التقينا به الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله وكان إنساناً معطاءً، طيّب النفس، جليل القدر، يحب خدمة الآخرين، وهو الذي أسس «كلية الفقه» التي لا زالت قائمة، وكان من رأي الشيخ المظفر أن ندعو الآخرين إلى مجلس موسَّع، فأبدينا موافقتنا لاقتراحه.

وأسرع العلامة المظفر في تهيئة مكان الاجتماع الذي حضره علماء النجف من المرتبة الثانية والثالثة، وكانوا قرابة الأربعين عالماً وفقيهاً بما فيهم من السادة آل بحر العلوم والسادة آل الصدر وآل راضي، وغيرهم.

وجرى حوار طويل في ذلك الاجتماع، حول ضرورة التصدي للهجمة الشيوعية، وإن السكوت عنهم سيترك آثاراً وخيمةً؛ لأن الشيوعيين قائلون باللاءات الخمسة ـ (لا للدين، لا للفضيلة، لا للملكية الفردية، لا للعائلة، لا للحرية) ـ وإذا لم نقف قبالهم فإنهم سيفعلون ما فعلوا في موسكو؛ إذ أن شيوعية العراق فرع للشيوعية الأمّية التي تنتمي إلى موسكو.

والشيوعيون في العراق لم يكن بيدهم زمام الأمور، وإنما كانوا ألعوبة تحرّكهم أصابع السفارة البريطانية في بغداد، وهذا ما أكده السفير البريطاني بعد فترة من انتهاء عهد عبد الكريم قاسم، حيث كتب السفير في صحيفة الحياة اللبنانية مقالاً جاء فيه:

إننا سمحنا لخروج الشيوعيين إلى الساحة، أما الحكم في الأصل كان بأيدينا. وهو العمل نفسه الذي يقوم به الإنجليز في بعض البلدان الإسلامية الأخرى، فالذي حدث في أفغانستان كان على غرار ما حدث في العراق.

وكان المطلوب من الشيوعيين أن يجنّدوا جميع طاقاتهم للعبث بمقدرات العراق، وكانت العشائر العراقية وقتها قوة لا يستهان بها، والحوزة العلمية وعلماؤها ومفكّروها أقوياء ولهم نفوذ على العشائر، والمثقفون الإسلاميون أقوياء كذلك، فأثمرت تلك الاجتماعات التي عقدت في النجف الأشرف وتمخضّت في النهاية عن تشكيل «جماعة العلماء» وكانوا جميعاً من علماء المرتبة الثانية والثالثة، وسارع علماء الدرجة الأولى إلى تأييدهم، أمثال: والدي ﷺ والسيد الحكيم ﷺ وبقية المراجع العظام.

بدأت هذه الجماعة في نشاطها المعادي للشيوعية بإصدار المنشورات اليومية ونشرت عدة بيانات في عدة صحف.

وفي المقابل أبدت الحكومة ردود فعل سريعة، فأسس عبد الكريم قاسم «جماعة العلماء الأحرار» برئاسة الشيخ عبد الكريم الماشطة وكان ذا علاقة وطيدة مع الشيوعيين، وقد جمع حوله لفيفاً من أصحاب المظاهر لا المبادئ الذين ينقصهم العلم والتقوى. وقد استطاع أن يجمعهم بالمال ويشتري مواقفهم بالإغراءات، وكانت هذه الجماعة تؤيد مواقف الحكومة الشيوعية، وقد وضعت الدولة إمكانياتها الإعلامية من صحف ومجلات وإذاعة وتلفزيون في خدمة هذه الجماعة، التي لم تكن تمتلك

أي رصيد جماهيري؛ إذ لم يكن بمقدورهم إقامة مجالس شعبية كبيرة، حيث ليس هناك من هو على استعداد للمشاركة في نشاطاتهم، واستمر هذا الحال على هذا المنوال حتى مقتل عبد الكريم قاسم، فاختفت هذه الجماعة من الوجود وهرب بعض أفرادها وانزوى الباقي.

واستمرت اتصالاتنا بالمراجع العظام، وكنّا نزورهم ونزوّدهم بأخبارنا ونشاطاتنا، ونستمدّ منهم العون، لوقف المدّ الشيوعي.

وفي إحدى السفرات كانت لنا زيارة إلى المراجع كالسيد محسن الحكيم والسيد الحمامي والميرزا عبد الهادي الشيرازي (قدّست أسرارهم) وآخرين، وكان هؤلاء المراجع العظام متفاوتين في التحمّس ضدّ الشيوعيين، بين مهتم بحماسة وغير مهتم، وكان البعض يقول: إن الشيوعيين هم صنيعة الغرب وإنهم سيضمحلون بسرعة. وكان رأينا أنّ علينا أن نقوم بواجبنا الشرعي، ومسئوليتنا الدينية في التصدّي للمنكر مهما كانت أسبابه ودوافعه.

وكان لنا لقاء مع وزير الاقتصاد في حكومة عبد الكريم قاسم، وقد تمّ في مقبرة والدي في حرم الإمام الحسين عليه السلام، حيث كان مكان تدريسي ولقاءاتي، وقد حضر هذا اللقاء لفيف من الأصدقاء، وقد دونت مقتطفات من هذا الحوار في منشور، قد وزّع في حينه على المعنيين. وقد ناقشت الوزير حول موضوع الاقتصاد الإسلامي، وقلت له: لماذا لا تقدمون على تطبيق الاقتصاد الإسلامي؟

فقال لي: وقد بدت عليه آثار التعجب، ما هو الاقتصاد الإسلامي؟!

قلت: الاقتصاد الإسلامي: اقتصاد مستقل، ليس اقتصاداً شيوعياً ولا اقتصاداً رأسمالياً ولا اقتصاداً اشتراكياً، بل له خصائص وميزات معينة تفرزه عن المذاهب الاقتصادية الأخرى، وقد كتب فقهاؤنا معالم هذا الاقتصاد في كتبهم.

قاطعني وفي حالة استغراب قال: مثلاً!

قلت: يقول الله سبحانه في محكم كتابه: ﴿ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٩)، ثم أردفت قائلاً: انظر إلى إحدى كتبنا الفقهية، فقد ضم هذا الكتاب أكثر من خمسين موضوعاً اقتصادياً.

ازداد تعجبه وقال في حالة دهشة: خمسين موضوعاً؟!

قلت: نعم، في كتاب (جواهر الكلام) الذي يتضمن موضوعات عن البيع والرهن والإجارة والإعارة والمساقات والمزارعة والمضاربة و... وطفقت أعدد له عناوين المعاملات في الفقه الإسلامي، فازداد انبهاره.

ثم أفصح عن انبهاره هذا بقوله: لم أسمع من قبل بكل الذي قلته.

أجبته: أمر طبيعي إنك لا تعرف شيئاً عن الاقتصاد الإسلامي؛ لأنك لم تدرس شيئاً عن هذا الاقتصاد في المدارس بكافة مراحلها، وعندما دخلت إلى كلية الاقتصاد درستَ كل شيء إلا الاقتصاد الإسلامي، وإنك لو تصفّحت المنهج الدراسي فإنك لا تجد شيئاً عن الإسلام بكافة حقوله، ولو وجدت شيئاً فهو صور ولقطات مشوّهة عن التاريخ الإسلامي، عن الحروب والصراعات، وعن بطش الخلفاء وبطرهم، وما أشبه ذلك، وهي أمور ليس فيها أية فائدة لمن يريد التعرف على حقيقة الإسلام، بل هي تسبب عنده الاشمئزاز والنفور. أما الأمور المفيدة للمجتمع وبالأخص الأمور الحياتية، فلا تجد في هذه الكتب شيئاً عنها؛ لذا أرى من الضروري إضافة الاقتصاد الإسلامي إلى المناهج الدراسية وعلى الخصوص كلية الاقتصاد ليُدرَّس إلى جانب الألوان الأخرى من الأنظمة الاقتصادية، وشيئاً فشيئاً يتم تطبيق هذه القوانين، حتى يتم إزالة الفقر والفاقة من المجتمع، فعند تطبيق الاقتصاد الإسلامي سوف لن تجد فقيراً ولن تجد شخصاً بدون مسكنٍ، وما أشبه ذلك.

وضربت له مثالاً ببلد أوربي وهو النَرويج، وقلت له: في هذا البلد الأوربي ينعدم الفقراء، بينما تجد الفقراء والمساكين والمتكففين في بلادنا أينما ذهبت وبالمئات، ناهيك عن الفقراء الآخرين الذين لا يسألون الناس إلحافاً.

معنا، فنتحاور طويلاً في الفكر الشيوعي، وكان يقول: الطريق الوحيد للنجاة من الاستعمار البريطاني الخبيث، هو التمسك بالفكر الشيوعي والسعي إلى تطبيقه.

فالعامل والفلاح والفقير هو كل شيء في الفكر الشيوعي، وكان ابن أخي طالباً جامعياً، وكانت مباحثاتنا تدوم طويلاً، حتى أننا في أحد الأيام كنا جالسين على مائدة الطعام، وكان يصر على كلامه، وفجأة تأثر نفسياً وثارت أعصابه، فأخذ يشتمنا ويقول: أنتم طلبة رجعيون، ولا تفهمون شيئاً أبداً، ثم خرج من البيت.

ومن قبل كان يقول: إن عدد المسئولين لدينا ثلاثة، وكان يكثر من مدحهم، ناعتاً إياهم بأنهم هم الذين يفهمون الحياة جيداً، وأنهم أصحاب العلم والمعرفة، وأنهم تقدميون ومتحضرون. وعلى كل حال، كان كلامه

ثم ذكرت له قصة من التاريخ الإسلامي عن مدينة (نيشابور) وكانت سابقاً مدينة علمية كبيرة وذات شأن كبير في العالم الإسلامي وفيها كثافة سكانية عالية، كما يظهر من رواية ورود الإمام الرضا عليه السلام والتفاف أربعة وعشرين ألف عالم وصاحب قلم وتأليف حوله؛ ليكتبوا ويدونوا الأحاديث التي يمليها عليهم، فأية مدينة كبيرة تلك التي يتواجد فيها أربعة وعشرون ألف عالم في ذلك الزمان؟!

والقصة هي: دخل رجل فقير إلى هذه المدينة ولما كان فقيراً وجائعاً مدَّ يده إلى الناس طالباً منهم المساعدة، فلم يعطه أحدٌ شيئاً، وقالوا له: ليس في بلدنا فقير ومحتاج، وأن أهل البلد لا يعطونك؛ لأنّ عطاءهم سيشجعك على الفقر والاستجداء.

فقال لهم: إني جائع، فدلوه على مكان يستطيع فيه أن يسدّ رمقه.

ثم قال لهم: أريد مكاناً للنوم.

فقالوا له: المكان الذي تطلبه مخصص للعجزة والمعوقين، أما أنت فإن كنت منهم، فإنهم سيعطونك مكاناً في تلك الدار ويمنحونك ما تحتاج إليه من طعام وكساء، أما إذا كنت قادراً على العمل، فإنهم سيمنحونك فرصة الاشتغال والعمل.

ثم قالوا له: ليس في مدينتنا من يتكفف طالما كان كل شيء مهيئاً له.

وهو على ما يبدو حال بقية البلاد الإسلامية لا يختلف عن حال هذه المدينة ـ إلى أن قال: ـ من هذا المنطق اهتم الإسلام بالاقتصاد ووضع حلولاً لمشاكل البشر الاقتصادية.

ثم خاطبت الوزير: وأنتم من مصلحتكم إن أردتم البقاء، ومن مصلحة البلاد أن تفكروا بتقدمها، وأن تطبّقوا بنود الاقتصاد الإسلامي واحداً تلو الآخر.

قال الوزير بعد أن أصغى لكلامي: الإسلام غير قابل للتطبيق.

قلت له: هذه العبارة يكررها الذين يجهلون حقيقة الإسلام في كل زمان ومكان. ثم أضفت: أي جزء من الإسلام غير قابل للتطبيق؟ هل وجدت شيئاً من الإسلام غير قابل للتطبيق؟ كلامك أيها الوزير يخالف مقولة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة» (انظر بصائر الدرجات: ص١٤٨ ج٣ ب١٣ ح٧) ليس في الإسلام بندٌ واحدٌ غير قابل للتطبيق.

صحيح أن هناك حالات نعمل فيها بقانون «لا ضرر ولا ضرار» أو قانون «الأهم والمهم»، وهذا لا يعني خروجاً عن الإسلام بل يعني الدخول من الإسلام إلى الإسلام؛ لأن هذه القوانين من واقع وصلب الإسلام.

سمع الوزير كلامي وقال: إنشاء الله سأخبر الزعيم عبد الكريم قاسم بهذا الموضوع، ثم قام وودعنا متوجها إلى بغداد. انظر كتاب (تلك الأيام) للإمام الراحل: ص١٢٦. وأيضاً راجع في هذا الباب: كتاب الفقه، السياسة: ج١٠٦ وكتاب مباحثات مع الشيوعيين، والقوميات في خمسين سنة، وماركس ينهزم، وغيرها.

ككلام سائر المغرورين المخدوعين من الشيوعية الذين يتلقون أفكار الشرق.

وفي أحد الأيام وبعد الظهر بالضبط، كنا نائمين وإذا بالباب يُطرق بشدة، أسرعت إلى الباب وقلت في نفسي: لعله شخص جاء للكيد بنا، ولكن ولدي فتح الباب، فإذا بابن أخي لدى الباب، وقد كان مضطرباً ومرهقاً جداً، ودقات قلبه تدق بسرعة، والاحمرار بادٍ في وجهه، وقد انتفخت أوداجه!!

دخل في البيت وجلس في الغرفة، وكلما كنا نريد التحدث معه لم يقو على ذلك، إذ لم يستطع الكلام أبداً.

قلنا له: ما الخبر؟. هل ضربك أحد؟. هل أصبت برصاصة في جسدك؟.

ولكنه لم يرد جواباً على إحدى الأسئلة التي طرحناها.

وبعد استراحة دامت نصف ساعة، قال: يا عم، إني أعتذر إليك كثيراً، وأطلب منك أن تسامحني على الكلام السيئ الذي صدر مني؛ يا عم كلامك الذي كنت تقوله لي، والنصائح التي كنت تبديها كلها صحيحة.

فقلت له: وكيف؟!

قال: اليوم وعند الصباح كانت عندنا جلسة، وكان الحاضرون فيها هم النواة الأساسية للحزب الشيوعي في إيران، وكان الحديث في المصير النهائي لأفراد الحزب في إيران، بأنه إذا واجهتهم الحكومة بالقوة والسلاح، كيف يقفون أمامها، وفرزت الآراء من المجتمعين وكانت الآراء ما بين ١٠ - ١٢ رأياً.

وقد قررت الهيئة المركزية للحزب أن نخرج إلى الشوارع، ونقاتل حتى آخر نفس؛ لأننا أصحاب مبادئ، ولا نتنازل عن عقيدتنا حتى الموت. ثم صار الكلام الأخير للمسئولين الأساسيين (القيادة المركزية للحزب) وكانوا ثلاثة أشخاص، أحدهم كان سكرتير الحزب الشيوعي، والآخر أمين الصندوق، والثالث كان المسئول الرئيسي للتنظيم، هؤلاء الثلاثة قالوا: إذا وصلت المرحلة إلى الشدة والخطورة على أفراد حزبنا، فعلينا في ذلك الوقت أن نلجأ إلى السفارة البريطانية، ونطلب منها حق اللجوء السياسي!!

فقلت لهم: إن السفارة البريطانية عدوة لنا. فقال المسئول الأول: أبداً، ليس هناك عداوة بيننا وبين السفارة الإنجليزية، بل إن سياستها في هذه الحالة تقتضي مهادنتنا واحتضاننا.

فخرجنا من البيت الذي كنا مجتمعين فيه لنذهب إلى السفارة الإنجليزية، وفي الطريق عرفت بأن رئيس الحزب له ارتباطات وثيقة بالسفارة الإنجليزية، لا كما كنت أظن في السابق بأن المسئولين حماة الفلاحين والعمال والكادحين، وأدركت بأن خلاص شعبنا ليس بيد هؤلاء المرتبطين بالاستعمار الغربي، بل أن خلاصنا هو في الرجوع إلى الإسلام والتمسك به كاملاً. فانفصلت عنهم وتركتهم لشأنهم، وجئت مسرعاً إليكم معترفاً بخطئي والاعتذار منكم.

التوعية والأسوة

إن رسول الله ﷺ أسوة للبشرية في جميع مجالات الحياة، لا فيما يرتبط بالحرب ومواجهة الأعداء، بل حتى في صغريات الحياة الشخصية والأسرية والاجتماعية وغيرها.

قال رسول الله ﷺ: «خمس لا أدعهن حتى الممات؛ الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفاً، وحلب العنز بيدي ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي»[1].

وكان رسول الله ﷺ يرقّع ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويأكل مع العبيد، ويجلس على الأرض، ويركب الحمار ويردف، ولا يمنعه الحياء أن يحمل حاجته من السوق إلى أهله، ويصافح الغني والفقير، ولا ينزع يده من يد أحد حتى ينزعها، ويسلم على من استقبله من كبير وصغير وغني وفقير، ولا يحقر ما دُعي إليه ولو إلى حشف التمرة، وكان خفيف المؤنة، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بشاشاً من غير ضحك، محزوناً من غير عبوس، متواضعاً من غير مذلة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب، رحيماً بكل مسلم، ولم يتجشأ من شبع قط، ولم يمد يده إلى طمع، وكفاه مدحاً قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

الشباب والتأسي

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما قلب الحدث كالأرض الخالية، مهما ألقي فيها من كل شيء قبلته»[3]، يلزم على الشباب أن يدرسوا تاريخ رسول الله ﷺ بدقة فائقة ليتأسوا به، فإنه خير أسوة لهم، ولكن بعض الشباب المسلم اليوم على حالة من الغرور والانخداع، فهم لا يعرفون الحقيقة ولا يعلمون بالأسوة التي ينبغي التأسي بها أبداً، الأمر الذي يحملنا المسؤولية كاملة من أجل توضيح الحقائق لهم، وإزالة الشبهات التي أودت بحياة الكثيرين وحطمت شخصياتهم؛ فلذا علينا أن ننشر المعارف الإسلامية الصحيحة، المستلهمة من القرآن والسنة المطهرة، المتمثلة بتعاليم ونهج أهل البيت عليهم السلام، لغرض توعية أبناء الأمة، ونشر سيرة الرسول الأعظم ﷺ، وطريقة تعامله مع الناس، وكيف أرسى دعائم الإسلام، ونعرّفهم بمحاسن أخلاقه ﷺ، وتصرفاته السياسية والاجتماعية؛ ليكون هو أسوتنا وقائدنا الأول في مسيرة هذه الحياة، لا الاستعمار وعملاءهم، ولقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾[4].

التأسي بالعترة الطاهرة

ومن بعد الرسول الأعظم ﷺ علينا أن نتأسى بمشاعل الهداية، ومصابيح الدجى الأئمة المطهرين (سلام الله عليهم أجمعين)؛ فقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام: «أما إنه ليس عند أحد علم، ولا حق، ولا فتيا، إلا شيء أخذ عن علي بن أبي طالب عليه السلام وعنا أهل البيت عليهم السلام، وما من قضاء يقضى به بحق وصواب إلا بدء ذلك ومفتاحه وسببه وعلمه من علي عليه السلام ومنا، فإذا اختلف عليهم أمرهم قاسوا وعملوا بالرأي، وكان الخطأ من

---

(١) الخصال: ج١ ص٢٧١ باب الخمسة ح١٢.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٦ ق١ ب١ ف١٣ ح٨٨٩.

(٤) سورة الأحزاب: ٢١.

قبلهم إذا قاسوا، وكان الصواب إذا اتبعوا الآثار من قبل علي »عليه السلام[1].

التنظيم

ويلزم علينا أن نوجد حالة التنظيم الواقعي والكامل في جميع شؤون الحياة، مستلهماً ذلك عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسياسته الناجحة، ومتأسياً به في ذلك.

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي، بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم..»[2].

وهنا تقع المسؤولية على رجل الدين وطلبة العلم ـ بالدرجة الأولى ـ في أن يكون المحور الأساسي في إنارة الأفكار والرؤى للآخرين، وبعث الحياة في نفوس الشباب وتوجيههم نحو الوجهة الصحيحة، وأن تكون الحوزة العلمية مركز بعث النور والصلاح والإيمان والتأسي بالرسول صلى الله عليه وآله إلى كافة شعوب العالم.

وعلينا أن لا نغفل ولا نتكاسل، ولا نشعر بالتعب والأذى في طريق الحق؛ ونتجنب المنى والكسل، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « تجنبوا المنى؛ فإنها تذهب بهجة ما خولتم، وتستصغرون بها مواهب الله تعالى عندكم، وتعقبكم الحسرات فيما وهّمتم به أنفسكم»[3].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: « إني لأبغض الرجل ـ أو أبغض للرجل ـ أن يكون كسلاناً عن أمر دنياه، ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل»[4].

كما أن على الإنسان أن يكون صبوراً متحملاً للمشاكل، وأن لا يتصور أنه هو الوحيد الذي يُبتلى، فإن غيره أيضا يبتلى سواء كان الغير من أهل الحق أو الباطل، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُداوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[5].

«الْحَمْدُ للهِ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ولا يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ غَيْرُهُ، الْحَمْدُ للهِ كَمَا يُحِبُّ اللهُ أَنْ يُحْمَدَ، الْحَمْدُ للهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ، اللَّهُمَّ أَدْخِلْنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ أَدْخَلْتَ فِيهِ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّدٍ، وأَخْرِجْنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ أَخْرَجْتَ مِنْهُ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّدٍ، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ»[6].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢ ص٩٥ ب١٤ ح٣٦.

(٢) نهج البلاغة، الكتب: ٤٧ من وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام.

(٣) الكافي: ج٥ ص٨٥ باب كراهية الكسل ح٧.

(٤) الكافي: ج٥ ص٨٥ باب كراهية الكسل ح٤.

(٥) سورة آل عمران: ١٤٠.

(٦) الكافي: ج٢ ص٥٢٩ باب القول عند الإصباح والإمساء ح٢٢.

من هدي القرآن الحكيم

حسن الخلق:

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢).

وقال جل وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٣).

معاشرة الناس:

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبى وَالْيَتَامى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ﴾(٤).

وقال سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾(٥).

وقال عزوجل: ﴿نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٦).

وقال جل وعلا: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ۞ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرادِقُها وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾(٧).

العطف على المساكين:

قال عزوجل: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى وَالْيَتَامى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة الشعراء: ١٠٧ - ١٠٩.

(٣) سورة القلم: ٤.

(٤) سورة النساء: ٣٦.

(٥) سورة البقرة: ٨٣.

(٦) سورة الزخرف: ٣٢.

(٧) سورة الكهف: ٢٨ -٢٩.

مَعْرُوفاً﴾[1].

وقال جل وعلا: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبى وَالْيَتَامى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[3].

العدل بين الناس:

قال عزوجل: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[5].

وقال سبحانه: ﴿وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[6].

وقال جل وعلا: ﴿وَإِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبى﴾[7].

من هدي السنة المطهرة

حسن الخلق:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[8].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما أنا عبد آكل بالأرض، وأعقل البعير، وألعق أصابعي، وأجيب دعوة المملوك، فمن يرغب عن سنتي فليس مني»[9].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا أديب الله وعلي عليه السلام أديبي، أمرني ربي بالسخاء والبر، ونهاني عن البخل والجفاء، وما شيء أبغض إلى الله عزوجل من البخل وسوء الخلق»[10].

---

(١) سورة النساء: ٨.

(٢) سورة الإسراء: ٢٦.

(٣) سورة البقرة: ٨٣.

(٤) سورة النحل: ٩٠.

(٥) سورة الحديد: ٢٥.

(٦) سورة الشورى: ١٥.

(٧) سورة الأنعام: ١٥٢.

(٨) مستدرك الوسائل: ج١١ ص١٨٧ ب٦ ح١٢٧٠١.

(٩) تنبية الخواطر ونزهة النواظر: ج١ ص٢١١ بيان الطريق في معالجة الكبر.

(١٠) بحار الأنوار: ج ١٦ ص٢٣١ ب٩ ضمن ح٣٥.

معاشرة الناس:

قال رسول الله ﷺ: «رأس العقل بعد الإيمان بالله عزوجل التحبب إلى الناس»[1].

وقال ﷺ: «أجيبوا الداعي، وعودوا المريض، وأقبلوا الهدية، ولا تظلموا المسلمين»[2].

وقال ﷺ: «ثلاثة يصفين ود المرء لأخيه المسلم: يلقاه بالبشر إذا لقيه، ويوسع له في المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحب الأسماء إليه»[3].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس كفاً، وأكرمهم عشرة، من خالطه فعرفه أحبه»[4].

العطف على المساكين والفقراء:

قال رسول الله ﷺ: «نور الحكمة الجوع، والتباعد من الله الشبع، والقربة إلى الله حب المساكين والدنو منهم»[5].

وقال ﷺ: «ألا ومن استخف بفقير مسلم فقد استخف بحق الله، والله يستخف به يوم القيامة إلا أن يتوب»[6].

وقال ﷺ: «من أكرم فقيراً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عنه راض»[7].

ومن وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر رحمه الله: «عليك بحب المساكين ومجالستهم»[8].

وقال صلى الله عليه وآله: «صل قرابتك وإن قطعوك، وأحب المساكين وأكثر مجالستهم»[9].

وقال رسول الله ﷺ: «من استذل مؤمناً أو حقره لفقره أو قلة ذات يده، شهره الله يوم القيامة ثم يفضحه»[10].

---

(١) روضة الواعظين: ج١ ص٣ مجلس في ماهية العقول وفضلها.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٧٤ ب٦ ح١٤٥٣.

(٣) الكافي: ج٢ ص٦٤٣ باب التحبب إلى الناس ح٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٦ ص٢٣١ ب٩ ضمن ح٣٥.

(٥) مكارم الأخلاق: ص ١٤٩ ب٧ ف٣.

(٦) أمالي الشيخ الصدوق: ص٤٢٩ المجلس ٦٦ ح١.

(٧) أمالي الشيخ الصدوق: ص٤٢٩ المجلس ٦٦ ح١.

(٨) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص٤١ ب٩٤ ح٤١.

(٩) إرشاد القلوب: ج١ ص١٤٠ ب٤٤.

(١٠) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٣٣ ب٣١ ح٥٨.

العدل بين الناس:

قال رسول الله ﷺ: «سيد الأعمال: إنصاف الناس من نفسك، ومواساة الأخ في الله، وذكر الله على كل حال»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث خصال من كن فيه استكمل الإيمان: الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له»[2].

وقال ﷺ: «عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة، قيام ليلها وصيام نهارها»[3].

وقال ﷺ في وصية له لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي، ما كرهته لنفسك فاكره لغيرك، وما أحببته لنفسك فأحببه لأخيك، تكن عادلاً في حكمك، مقسطاً في عدلك، محباً في أهل السماء، مودوداً في صدور أهل الأرض..»[4].

الفهرس

كلمة الناشر..... ١
الرسول ﷺ ونزاهة الحرب..... ٤
قريش والحرب والانتقام..... ٤
استعداد المسلمين..... ٧
معركة أحد..... ٧
مقام أمير المؤمنين عليه السلام في أحد..... ٩
مقتل حمزة عليه السلام..... ١١
تراجع الكفار إلى مكة..... ١٦
من أعان ظالماً سلطه الله عليه..... ١٧
دروس وعبر..... ٢١
الاستعمار في بلاد الإسلام..... ٢٥
قصة من الواقع..... ٢٥
التوعية والأسوة..... ٣٠
الشباب والتأسي..... ٣١
التأسي بالعترة الطاهرة..... ٣١
التنظيم..... ٣٢

(١) الكافي: ج٢ ص١٤٥ باب الإنصاف والعدل ح٧.

(٢) أعلام الدين: ص١١٤ باب صفة المؤمن.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٣١٧ ب٣٧ ح١٣١٤٢.

(٤) تحف العقول: ص١٤ من وصيته ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام.

من هدي القرآن الحكيم..... ٣٣
من هدي السنة المطهرة..... ٣٤
الفهرس..... ٣٦